روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!

د. نبيل فاروق

140

قراصنة الزمن

Looloo
www.helmelarab.net

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدَّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الزمن الآخر ..

ظلام رهيب ، ذلك الذى امتدّ إلى مدى البصر ، فى تلك البقعة من البحر الأبيض المتوسِّط ، داخل المياه الإقليمية المصرية ، حيث ربضت المدمرة (فجر) ، صامتة ساكنة ، مظلمة ، وإلى جوارها الغوّاصة المصرية (ب.ن ـ ١٠٣) ، بمقدمتها المحطَّمة ، تشاركها ذلك العدم المخيف ..

ومن بعيد ... بعيد جدًّا ، توقَّفت مركبة مصرية صغيرة ، وطاقمها المحدود متحفِّز فى رهبة تمتزج بالحزم ، وقائدهم يرفع منظاره الخاص بالرؤية الليلية إلى عينيه ، قائلاً :

ـ هذه المسافة تكفى للرصد ، كما أكَّد خبراؤنا ، ولقد نصحونا باللجوء إلى الوسائل اليدوية التقليدية القديمة وحدها ، إذ يعتقدون أن الغزاة يمكنهم رصد أية إجراءات إليكترونية ، بوسيلة ما ..

لفظ (الغزاة) هذا أثار أعصاب الرجال ، ولكن كلاً منهم ظلّ قابعًا فى مكانه ، وسلاحه متحفّز فى يده ، تأهّبا لأى هجوم مفاجئ محتمل ..

أما قائدهم ، فقد أخفى توتره العنيف فى أعماقه ، وهو يراقب ذلك السكون المهيب الرهيب ، الذى أحاط بالمدمرة والغوّاصة ، متسائلاً فى حيرة بلغت حد الغضب .. كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

بل وكيف بدأت الأمور ، ووصلت إلى هذا الحد ؟!

كيف ؟!

كان التساؤل يدور فى ذهنه ؛ لأنه يجهل حقيقة ما حدث ..

يجهله تمامًا ..

فالبداية كانت حادثة غوّاصة ..

الغوّاصة المصرية (ب . ن ـ ١٠٣) ، التى ارتطم بها جسم مجهول ، يسير تحت الماء بسرعة مدهشة ، فحطّم مقدمتها ، وأغرقها فى الأعماق ..

ومع بدء عمليات البحث والانتشال ، راحت المفاجآت تتوالى ..

أضواء فى الأعماق ..

اختفاءات غامضة ..

مركبات مجهولة الهوية ..

وعلى الرغم من جهود (نور) وفريقه ، فقد راحت الأمور تتعقّد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، أو الاستنتاجات العبقرية ؛ ليدرك الكل أنهم يواجهون خصومًا أكثر تقدُّمًا وقوة ..

أكثر بكثير ..

وكانت لـ (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، وخبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى مركز الأبحاث ، الخاص بالمخابرات

العلمية المصرية ، نظرية خاصة فى هذا الشأن .. نظرية عجيبة ..

بل مذهلة ..

وكان لاختفاء السيد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، أكبر الأثر ، فى أن تتخذ الأمور منحنى جديدًا ..

وأدلت (نشوى) بدلوها ..

وأعلنت نظريتها ، التى تؤكِّد فيها أن الغزاة قد جاءوا من المستقبل ..

مستقبلنا ..

وعلى الرغم من أن الكل قد استنكر الفكرة بعنف ، إلا أن عودة (طارق) ، فارس الزمن ، والمقاتل المستقبلى ، الذى أتى من نسل (نور)(*) ، حسمت الأمر تمامًا لصالحها ، وبدأت مرحلة جديدة من الصراع ..

مرحلة أكثر عنفًا ..

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

مرحلة بدأ فيها الصدام المباشر ، مع غزاة المستقبل ..

وكانت حربًا من نوع جديد ..

رهيب ..

ففى قوة ، نجح الغزاة فى إخفاء (نور) ، و(أكرم) ، و(رمزى) ، و(سلوى) ، وفريق الرائد هيثم بأكمله ، وحتى قادة (مصر) ورئيسها ..

وفى الوقت الذى راحت فيه (نشوى) تقاتل فى استماتة ، تحت رعاية وحماية فارس الزمن (طارق) ، كان (نور) و(أكرم) ، وفريق الرائد (هيثم) ، يواجهون موقفًا رهيبًا ، لا مثيل له ، فى فراغ زمنى مخيف ..

وقاتل (طارق) ..

وقاتل ..

وقاتل ..

ولكن الأمور انتهت به إلى موقف رهيب ..

حزام الغزاة الشبحى ، الذى استولى عليه من أحدهم ، كان يحيط بوسطه ، ويستعدّ للانفجار ، ما لم يتمّ إيقاف نظامه الأمنى المستقبلى ، خلال ثوان معدودة ..

وانطلقت (نشوى) تعمل بأقصى طاقتها ..

وتحت ظروف شديدة التوتر والتعقيد ..

واقتحمت (نشوى) تلك الشفرة الأمنية ، ذات العشر خانات ..

وتجاوزت تسع خانات منها ..

وبقيت أمامها خانة واحدة ..

وثلاث ثوان ..

ولكن غزاة المستقبل اقتحموا مقر الفريق السرى ، بأجسادهم الشبحية الرهيبة ..

وكان هذا يعنى نهاية (طارق) ..

ونهاية (نشوى) ، وعالمها ، وحاضرها أيضًا ..

فى الوقت ذاته ، كان (نور) و(أكرم) قد التقيا بالرائد (هيثم) وفريقه الصغير ، قبل أن يحدث اتصال زمنى ، بين الفراغ الذى يسبحون فيه ، وعالم عجيب ..

أو زمن عجيب ..

زمن ، بدت فيه الأرض على صورة لم يروا ، أو حتى يتخيَّلوا مثلها قط ..

كل شىء مختلف ..

المدن ..

الطرز المعمارية ..

البشر ..

وحتى اللغة ..

لغة لا تشبه أية لغة معروفة ، على وجه الأرض ..

أو حتى تاريخها المعروف كله ..

ولقد اقتنصهم سكان ذلك الزمن العجيب ، وراحوا يفحصونهم ، ويحاولون دراستهم ، وإيجاد لغة حوار مشتركة ، أو حتى فهم أحاديثهم ..

تمامًا مثلما سنفعل نحن ، لو وقعت فى قبضتنا مخلوقات من عالم آخر ..

أو زمن آخر ..

وبينما يبذل (نور) قصارى جهده ؛ لمساعدتهم على كسر حاجز اللغة ، فوجئ أمامه بمشهد خارق للمألوف ..

مشهد يكفى لإلغاء ونسف كل ما ملأ رأسه من احتمالات واستنتاجات ، ويقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

ألف مرة(*) ..

★ ★ ★

لم يكن من الممكن أبدًا أن تتوقَّف (نشوى) عن عملها ، ولو لثانية واحدة ..

كان شبح ابن السيِّد (أمجد) ، زعيم أشباح الزمن ، يقف على مسافة نصف المتر منها ، وأسلحة ستة من رجاله مصوبَّة إلى رأسها ، وإلى رأس (طارق) ..

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوَّل والثانى (الأعماق) و(حرب الأشباح) .. المغامرتين رقمى (١٣٨) ، و(١٣٩) .

وكل ذرة من كيانها كانت ترتجف ارتياعًا ..

ولكنها لم تتوقَّف ..

كانت تدرك جيِّدًا ، أن الثانيتين المتبقيتين ، هما الفيصل بين حياة (طارق) ..

أو موته ..

لذا ، فقد انطلقت أصابعها على أزرار الكمبيوتر بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

وانعقدَ حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو ينقل بصره بينها ، وبين قراصنة الزمن ، الذين يحيطون بهما ، فى حين اكتفى زعيمهم بابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- وعنيدة أيضًا ، كما وصفوك دائمًا ..

وثبت سبَّابتها إلى زر أخير ، ضغطته فى توتر بالغ ،

وعيناها تلتهمان شاشة الكمبيوتـر بكل لهفـة وتوتـر الدنيا ، وكأنها لا تشعر بما حولها ..

أو بمن حولها ..

وانتفض حسد (طارق) ، مع الساعة الرقمية على الشاشة ، والتى أعلنت انتهاء المهلة ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

الحزام الشبحى الذى يرتديه لم ينفجر ..

فقط ، وثب الرمز العاشر إلى الشاشة ؛ ليعلن نجاح (نشوى) ، خبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى المخابرات العلمية المصرية ، فى إيقاف ذلك النظام الأمنى ..

فى الثانية الأخيرة ..

وفى سخرية شرسة ، صفق زعيم الأشباح بكفيه ، قائلاً :

ـ عظيم .. دليل جديد على عبقريتك يا سيِّدة (نشوى) ..

ثم رفع فوهة سلاحه ، يصوبها إلى رأس (طـارق) ، مستطردًا :

ـ ولكنه لن يصنع فارقًا كبيرًا ..

خفق قلب (نشوى) فى عنف ، وتصورت أن زعيم الأشباح لن يتردَّد لحظـة ، فى نسف رأس (طـارق) بسلاحه ، فهتفت فى عصبية :

ـ يا للشجاعة ! تصوِّب سلاحك إلى رأس رجل أعزل ، وأنت فى هيئة يعجز حتى عن مواجهتها ، وحولك دستة من رجالك !

استدار إليها الزعيم بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ آه .. أخوف أنثوى غريزى هذا ، أم ....

صمت لحظة ، مال خلالها نحوها ، وتطلَّع بعينيه الشبحيتين إلـى عينيها مباشرة ، وهو يضيف ، فى سخرية شرسة :

ـ أم أنك تعرفين حقًّا من هو ..

أدهشها ذلك التوتر الشديد ، الذى ارتسم على وجـه (طـارق) ، عندمـا نطـق الزعيـم عبارتـه ، وتفجَّـر داخلها ذلك السؤال مرة أخرى ..

من هو (طارق) حقًّا ؟!

من ؟!

وفى صوت امتزج اضطرابه بمحاولتها للتظاهر بالتماسك والحزم ، سألت ذلك الزعيم الشبحى :

- ومن هو ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة كبيرة أعلى شفتى الزعيم ، وهو يواصل التطلّع إلى عينيها ، قائلاً :

- ألم تلاحظى ذلك التشابه الواضح ، بينه وبين ...

كانت كل ذرة فى كيانها متلهفة لسماع كلماته ، على الرغم من موقفها العسير ، إلا أن (طارق) قاطعه فجأة ، فى صرامة غاضبة :

- لا داعى لهذه السخافات أيها الوغد ..

قالها ، وهو يضغط زرًا ، فى ذلك الحزام الشبحى ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- ثم إنك تضيع الوقت بلا طائل ..

استدار إليه زعيم الأشباح ، وهو يقول فى سخرية غاضبة :

- حقًا ؟!

ولم تستوعب عينا (نشوى) تلك السرعة المذهلة ، التى جرت بها الأحداث ، فى الثانية التالية ..

ففجأة ، تحوّل جسد (طارق) إلى تلك الهيئة الشبحية ، وهو يثب كالنمر نحو زعيم الأشباح ، ويتحرك بسرعة كادت تتجاوز سرعة عصبها البصرى ، على التقاط المشاهد ، وإرسالها إلى المخ ، حتى إنها رأته وكأنه قد اختفى من موضعه ، ثم ظهر خلف الزعيم ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى فى قوة ، وهو يمسك يده حاملة السلاح بيمناه ، ثم يضغط سبّابة الزعيم ، وهو يرفع فوهة سلاحه عنوة ؛ لتواجه الأشباح الآخرين ..

ومع صرخة الغضب ، التى انطلقت من شفتى الزعيم ، انطلقت من سلاحه بالونات صفراء قاتلة ، ارتطمت بثلاثة من الرجال ، وأطاحت بهم فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها الثلاثة بجدار المخبأ ، كان (طارق) يثب بقدميه ، ليركل سلاح رابع ، ثم يدور بجسده نصف دورة ، ليضرب الخامس بقدمه فى معدته ..

كل هذا ، دون أن تترك ذراعه اليسرى عنق الـزعيم ، الذى انطلق صوتـه غاضبًا مختنقًا ، وهو يهتف :

- اقتلوها .. اقتلوها أمام عينيه ..

وشهقت (نشوى) ، وهى تتراجع فى رعب ، وفوهات أسلحة الرجال المتبقين ترتفع نحوها ، بكل التحفُّز ..

وكل الوحشية ..

فعلى الرغم من مبادرة (طارق) الباسلة ، إلا أن خصومه كانوا أكثر قوة ، وأكثر عددًا وعدّة ..

وكان هذا يعنى الهزيمة ..

والموت ..

وبلا رحمة ..

* * *

لم يصّدق (أكرم) عينيه ، وهـو يحدّق بكـامل اتساعهما ، فى ذلك المشهد الرهيب ، الذى بدا من خلف جدار زجاجى ، فـى نهايـة القاعـة ، التـى يقف فيها العلماء ، حتى إنه هتف بصوت مختنق مبحوح :

- (نور) .. هل ترى ما أراه حقًّا ؟!

تمتم (نور) ، فى لهجة عصبية :

- أراه ..

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، على نحو أكثر توترًا :

- ولكننى عاجز عن تصديقه ..

كان من الـواضح أن فريق العلماء ، خارج القفص الزجاجى ، قد لاحظ ما أصابهما ، فقد التفت معظمهم إلى ما رأياه ، ثم راح فريق منهم يرصد ردود أفعالهما فى دقة واهتمام بالغين ، فى حين واصلت تلك النقوش الإليكترونية السريعة تراصها على الشاشة الطويلـة ، فـى محاولــة دءوبـة مستمرة ؛ لفهـم لغـة أولئـك القادمين عـبر ثقب الزمن ، وإيجاد وسيلة للتفاهم والحوار معهم ..

وبكل ذهوله وحيرته ، هزّ (أكرم) رأسه ، هاتفًا :

- (نور) .. هذا ليس جزءًا من فيلم (حديقة الديناصورات)(*) القديم .. أليس كذلك ؟!

تطلَّع (نور) بضع لحظات أخرى إلى ذلك المشهد العجيب ، قبل أن يغمغم ، بكل توتر الدنيا :

- كلاَّ بالتأكيد ؟!

وصمت لحظة ، ثم أضاف بتفكير عميق :

- ولكن ربما كان تحقيقًا عمليًا لفكرته الأساسية ..

انبعث من خلفهما صوتٌ أنثويٌّ ، يقول :

- أية فكرة ؟!

كانت خبيرة الصوتيات قد استعادت وعيها ، مع خبير الأشعة ، في حين بدا الرائد (هيثم) شديد التوتر ، وهو يغمغم :

- أين نحن بالضبط ؟!

(★) حديقة الديناصورات = (Jurassic Park) ، فيلم من ثلاثة أجزاء ، تم إنتاج الجزأين الأوَّل والثاني منه ، في تسعينات القرن العشرين ، في حين خرج الفيلم الثالث إلى النور في أوائل القرن الحادي والعشرين ، وفكرته تعتمد على نجاح أحد العلماء في إعادة إنتاج ديناصورات عصور ما قبل التاريخ ، في عصرنا الحديث ، عن طريق مادة (DNA) ، المستخرجة من بقايا البعوض القديم المتجمِّد .

أشار (نور) إلى ما أمامه ، مجيبًا :

في زمن آخر ..

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف ، بشيء من العصبية :

- زمن مجهول ..

اتسعت عيون ثلاثتهم عن آخرها ، وهم يحدقون في المشهد نفسه ، الذي أذهل (نور) و(أكرم) من قبل ، ثم هتفت خبيرة الصوتيات :

- ما هذا بالضبط ؟!

كان أمام عيونهم ، عبر ذلك بالجدار الزجاجي الكبير ، في نهاية القاعة ، ديناصور ..

نعم .. ديناصور هائل الحجم ..

وعلى قيد الحياة ..

ديناصور من نوع (البرونتوساورس)(*) ، يسير في هدوء ، وعلى ظهره مقصورة كبيرة ، جلس

(★) البرونتوسورس : ديناصور معشب ، نصف مائي ، ضخم الجسد ، طويل الرقبة والذيل ، يبلغ طوله ما يزيد على العشرين مترًا ، ويتجاوز وزنه الثلاثين طنًا ، وهو من الطراز المسالم ، على الرغم من ضخامة حجمه .

داخلها عدد من الرجال والنساء ، فى استرخاء شديد ، وكأنهم فى نزهة خلوية ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

ـ لاحظوا أن المشهد لم يثر ذهول أحد سوانا ، مما يعنى أنهم يألفون التعامل مع تلك الحيوانات الضخمة ، فى هذا الزمن ..

قال الرائد (هيثم) فى اهتمام :

ـ ليس هذا فحسب يا سيادة المقدّم ، وإنما روّضوها أيضًا ، وأمكنهم استغلال ضخامتها فى حياتهم ..

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأسه ، وهو يتمتم ، دون أن يرفع عينيه عن الديناصور ، الذى واصل سيره الهادئ ، بما يحمله على ظهره ، ليبتعد عن الجدار الزجاجى :

ـ تمامًا مثلما فعلنا نحن بالأفيال فى زمننا ..

تلفّت خبير الأشعة حوله فى خوف ، وتطلّع إلى كل العيون ، التى تراقبهما فى اهتمام ، وإلى الأجهزة العديدة ، المنتشرة فى القاعة ، والتى تشترك كلها فى

شفافيتها ، على نحو جعل المشهد كله عجيبًا ، ثم قال فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟! لماذا يحتجزوننا هنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يفكّر فى عمق :

ـ يحاولون فهم كيفية وصولنا إليهم ..

غمغمت خبيرة الصوتيات ، فى يأس مرير :

ـ وكيف يتسنى هذا ، وهم عاجزون عن فهم لغتنا ؟!

ولوّح خبير الأشعة بذراعه ، مضيفًا فى إحباط :

ـ بل ، وربما يعجزون حتى عن فهم طبيعة الزمن ، الذى أتينا منه ، والذى من الواضح أنه بعيد جدًّا ، فى أعماق ماضيهم ..

قال (نور) فى سرعة :

ـ أو مستقبلهم ..

تطلّع إليه الكل فى دهشة ، وداروا بعيونهم فيما حولهم ، بحركة آلية تلقائية ، قبل أن يتساءل (أكرم) فى حذر :

- ما الذى يعنيه قولك هذا يا (نور) ؟!

أدار (نور) عينيه مرة أخرى ، إلى ذلك الديناصور المبتعد ، وهو يجيب :

- يعنى أننا أمام لغز كبير أيها السادة .. لغز زمن نجهل ما إذا كان ينتمى إلى مستقبلنا البعيد ، أم إلى ماضينا العريق ..

وضاقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

- زمن مجهول ، إما أن نجد وسيلة للاتصال بمن فيه أو ....

توقَّف ، لتنطلق من أعماق صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يضيف :

- أو نبقى هنا إلى الأبد ..

وانتفضت أجسادهم كلها ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

٢ - المصيدة ..

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى توتر ، وهو يراجع تقارير زورق المراقبة ، قبل أن يرفع عينيه إلى أركان حربه(*) ، قائلاً :

- على الرغم من التطوّر السريع فى الأمور ، إلا أن كل تقارير المراقبة سلبية تمامًا .. المدمرة (فجر) تستقر هادئة ساكنة ، دون أى أثر للحياة على سطحها ، أو من حولها ، وإلى جوارها الغوّاصة (ب.ن - ١٠٣) ، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منهما ، قبل فهم ما حدث لهما ، واستيعاب تلك الظواهر العجيبة ، التى أحاطت بها ، قبل أن تصل إلى هذا الأمر ..

وافقه أركان حربه بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

(★) أركان الحرب = لقب يُطلق على فئة متخصصة من الضباط ، يعاونون قادة التشكيل العسكرى ، فى الشئون العسكرية الفنية ، ويتلقى هؤلاء الضباط دراسات متخصصة ، فى كلية أركان الحرب ، التى تمنح درجة الماجستير ، فى العلوم العسكرية ، والدراسة فيها على مستوى عال من التخصص .

ـ ربما فى البحر يا سيِّدى ، ولكن الهجوم الشرس ، الذى تمَّ منذ ساعة تقريبًا ، على مقرِّ المخابرات العلمية ، والذى أدَّى إلى مصرع السيد مدير المخابرات العامة ، واختفاء السيِّد رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يعنى أن الحرب قد انتقلت إلى البر ، وبمنتهى العنف والشراسة ..

لوَّح وزير الدفاع بذراعه ، وهو يقول :

ـ ولكن ماذا يريدون ؟! لماذا يفعلون كل هذا ؟!

أجابه أركان حربه فى حذر :

ـ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكن السؤال الأوَّل هو : من هم ؟!

انعقد حاجبا الوزير مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس أخبرنى أنه هناك نظرية عجيبة بشأنهم ..

ثم أضاف فى عصبية :

ـ ولكنه اختفى مع الآخرين ، قبل أن يبلغنى التفاصيل ..

استشفَّ أركان الحرب ما يدور فى أعماق الوزير ، فى موقف عصيب كهذا فشدَّ قامته ، قائلاً :

ـ سيِّدى .. وفقًا لما يحدث من حولنا ، نحن فى حالة حرب ، واختفاء السيِّد رئيس الجمهورية ، وقائدى المخابرات ، ينقل مسئولية القيادة واتخاذ القرار إليك ، وفقًا للتعديل الدستورى الأخير ، فى ...

قاطعه وزير الدفاع ، قائلاً فى توتر :

ـ أعلم هذا يا رجل ..

ثم انطلقت من صدره زفرة حارة ، وهو يضيف :

ـ ولكننى لا أدرى حتى من نواجه ، ولا كيف نتصدَّى له ، وهذا يثير أعصابى ، و يغل يدى إلى حد مزعج .. بل إننا حتى لسنا أمام عدو تقليدى ، أو حتى ملموس ، بحيث يمكننا استنتاج استراتيجيته القادمة ، وفقًا لتصرفاته وردود أفعاله السابقة ..

تردَّد أركان الحرب لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويقول :

- الواقع أنه باستطاعتنا دومًا استنتاج هذا يا سيادة الوزير ، على نحو أو آخر ..

سأله الوزير فى اهتمام :

- حقًّا ؟!

أومأ أركان الحرب برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

- إبان فترة احتلال العالم(*) ، لاحظنا جميعًا ظاهرة مهمة للغاية ، ألا وهى أن الغزاةَ يتصرفون بالكيفية ذاتها ، مهما اختلف منشؤهم .. إنهم دومًا يبدءون بإبراز قوتهم ، وفارق تفوّقهم ، عن طريق ضربة قوية مركَّزة ، بأسلوب لم يعهده الخصم ، بغضّ النظر عن أعداد الضحايا ، أو كميات الدماء المراقة ، وبعدها تبدأ عملية سحق رموز السلطة والقوة لدى الخصم ؛ لإحداث حالة من الارتباك والفوضى ، تتيح لهم محاصرة الكل ، وإحكام المصيدة حولهم ، والسيطرة الكاملة عليهم بعدها ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .

غمغم الوزير فى اهتمام :

- هذا صحيح ..

تابع أركان الحرب ، بنفس الحزم الواثق :

- ولقد حقق خصومنا - أيًّا كانوا - الخطوتين ، الأولى والثانية ، بعد أن افتعلوا حادثى الغوّاصة (ب.ن - ١٠٣) ، والمدمرة (فجر) ، ثم هاجموا مقرّ قيادة المخابرات العلمية ، وفعلوا ما فعلوه بالقادة هناك ، وما ينتظرونه الآن هو حالة الفوضى ، التى ستعمّ البلاد ؛ ليحكموا سيطرتهم عليها وعلينا ..

وصمت لحظة ؛ ليلتقط أنفاسه ، ويرتب أفكاره ، قبل أن يضيف :

- هذا ما ينبغى أن نمنع حدوثه بأى ثمن ..

رمقه الوزير بنظرة طويلة ، قبل أن يسأله :

- وماذا تقترح يا أركان الحرب ؟!

شدّ الضابط قامته مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

- أن ننتظر ..

تراجع وزير الدفاع بحركة حادة وعيناه تحملان كل الدهشة والاستنكار، فاستدرك أركان الحرب فى سرعة :

- ونتأهب ..

عاد حاجبا الوزير ينعقدان، وهو يقول فى عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه أركان حربه فى سرعة :

- إننا نجهل أين خصومنا الآن، وما الذى يستعدون لفعله بالضبط، ولكننا نعلم أن هدفهم هو ضرب أحد أهدافنا الاستراتيجية، لذا فسنستعد بقواتنا، وبكل أسلحتنا الحديثة، عند أهم الأهداف المحتملة، ثم ننتظر ضربتهم القادمة، و ...

صمت لحظة، ثم أضاف بكل الحزم :

- ونبدأ حربنا ..

وانتقل حزمه وصرامته إلى الوزير، وهو يقول :

- نعم يا رجل .. نبدأ حربنا ..

نطقها بكل حزم الدنيا، على الرغم من أنه يجهل تمامًا متى ستبدأ الحرب ..

ولا كيف ؟!

وهذا هو السؤال ..

المخيف ..

* * *

كل ما يحدث فى تلك القاعة، التى تناثرت فيها الأجهزة الشفافة، كان يؤكد أن وصول (نور) ومن معه، هو أخطر حدث شهده ذلك الزمن ..

على الإطلاق ..

ففى كل ركن، كان هناك من يسجل البيانات، على عدد من الكرات الشفافة، التى تحل محل أجهزة الكمبيوتر، فى حين كان هناك فريق آخر، يسجل كل تصرفات (نور) ورفاقه، وكل همسة يهمسون بها، حيث تتواصل محاولات ترجمتها المستميتة، على تلك الشاشة الطويلة ..

ولكن الإحباط المرتسم على كل الوجوه ، والممتزج بالاهتمام والتوتر الشديدين ، كان يعنى أن كل المحاولات لم تصل إلى أية نتيجة إيجابية ..

ومن داخل ذلك القفص الزجاجى ، غمغم (نور) :

- لابد أن نتعاون معهم ، على تجاوز هذه المرحلة ..

تساءلت خبيرة الصوتيات ، فى حيرة يائسة :

- ولكن كيف ؟! إننا نجهل كل شىء عن عالمهم وزمنهم ، ونجهل حتى اللغة التى يتحدثون بها ، و ...

قاطعها (أكرم) ، وهو يقول فجأة :

- الرسم ..

التفت إليه الكل بحركة حادة ، فارتبك ، وهو يتابع بوجه محمرّ :

- فى الماضى ، عندما كنت أعمل فى مجال البترول ، أحضرت الشركة بعض العمال محدودى الثقافة ، من جنوب شرق (آسيا) ، ولما كنت أجهل لغتهم ، ويجهلون لغتى ، فقد استعنت ببعض الرسوم البسيطة ، و ...

قاطعه (نور) هذه المرة ، وهو يهتف بابتسامة كبيرة :

- أنت عبقرى يا صديقى ..

غمغم (أكرم) ، فى دهشة فرحة :

- حقًّا ؟!

انعقد حاجبا خبيرة الصوتيات ، وهى تغمغم ، فى إعجاب واضح :

- كيف لم تخطر هذه الفكرة ببالنا ؟!

ابتسم الرائد (هيثم) ، وهو يقول :

- لأننا نفكّر بأسلوب علمى محض ، أما السيّد (أكرم) ، فهو يفكّر بتلقائيته الفطرية دومًا ..

كان العلماء ، فى القاعة الخارجية ، يراقبون انفعالاتهم فى اهتمام ، فى محاولة لفهمها ودراستها ، ولكن (نور) لم يلق لهم بالاً ، وهو يمسك (أكرم) من كتفيه ، قائلاً فى حماسة :

ـ فليكن يا صديقى .. حاول أن تتخيَّل أن هؤلاء بعض العمال ، الذين أتوا من جنوب شرق آسيا ، وأنك تجهل لغتهم ، كما يجهلون لغتك ، وتعامل معهم بأسلوب الرسوم البسيطة ..

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يهتف بشىء من الارتياع :

ـ أنا ؟!

أجابه (نور) فى حماسة :

ـ بالطبع يا صديقى .. أنت الوحيد هنا ، الذى لديه خبرة فى هذا المجال ..

حدَّق (أكرم) فى عينى (نور) بضع لحظات ، فى ذعر عجيب ، ثم لم يلبث أن تمتم ، وهو يتنحنح فى عصبية :

ـ فليكن .. سأحاول ..

وصمت لحظة ، وهو يتلفَّت حوله ، قبل أن يضيف فى حدة :

ـ ولكن ماذا أستخدم .. لا توجد هنا أوراق أو أقلام ..

أجابته خبيرة الصوتيات فى سرعة :

ـ استخدم إصبعك ..

استدار إليها فى دهشة ، فمنحته ابتسامة واثقة ، وهى تشير إلى العلماء ، مكملة :

ـ إنهم أذكياء .. وسيفهمون ..

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد ..

وأدار عينيه ، يتطلَّع بضع لحظات إلى العلماء ، الذين بدا عليهم الاهتمام الشديد ، قبل أن يتنحنح ، ويتجه نحو الزجاج ، الذى يفصله عنهم ، ويقف على مسافة خطوات منهم ..

وفى لهفة ، راح الكل يسجِّل انفعالاته ، ويراقبه ، و ...

« (أكرم) .. » ..

نطقها فى حزم ، وهو يشير إلى صدره ، فابتسم (نور) قائلاً :

ـ ألم أقل لكم : إنه عبقرى !

هتفت خبيرة الصوتيات فى انبهار :

ـ إنه مدهش ..

استدار إليها خبير الأشعة ، بحركة حادة مستنكرة ، فى حين ابتسم الرائد (هيثم) ، متمتمًا :

ـ ومتزوّج ..

انعقد حاجباها فى غضب فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت إليكترونى داخل قفصهم الزجاجى ، مرددًا اسم (أكرم) ، الذى ابتسم فى توتر ، ثم مدّ سبّابته نحو الجدار الزجاجى ، فتراجع العلماء بحركة حادة ، جعلت (نور) يبتسم ، مغمغمًا :

ـ رد فعلهم بشرى تمامًا ..

أجابه خبير الأشعة ، فى شىء من العصبية :

ـ تذكّر أنهم هم يفحصوننا ، وليس العكس ..

قال (نور) فى حزم :

ـ كلانا يدرس ويفحص الآخر فى الواقع ..

مع كلماتـه ، كـان (أكرم) يرسم بيده دائرة على الزجـاج ، والكل يتابعه ببصره فى اهتمـام ، فلـوّح بسبّابته ، على نحو يوحى بالكتابة ..

ولثوان ، تطلّع إليه العلماء فى صمت ، ثم اندفعوا فجأة يتناقشون فى اهتمام ، على نحو جعله يقول فى عصبية :

ـ عجبًا ! هل يعدّ ما فعلته هنا نوعًا من الإهانة أم ماذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى حذر :

ـ لست أعتقد هذا ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، التقط أحد العلماء لوحًا أبيض ، وكرة سوداء صغيرة ، ودار بالكرة فوق اللوح ، فرسمت دائرة سوداء ، ما إن رآها (أكرم) ، حتى هتف فى انفعال :

ـ نعم .. هذا ما أريده بالضبط ..

عبارته هذه جعلتهم يندفعون مرة أخرى إلى نقاش منفعل ، قبل أن يميل أحدهم ، ويدفع اللوح الأبيض نحو جزء من جدار القفص الزجاجى ، فتموّج ذلك الجزء فى نعومة ، ثم عبره اللوح على نحو مدهش ، وعالم آخر يشير إلى (أكرم) أن يلتقطه من ناحيته ..

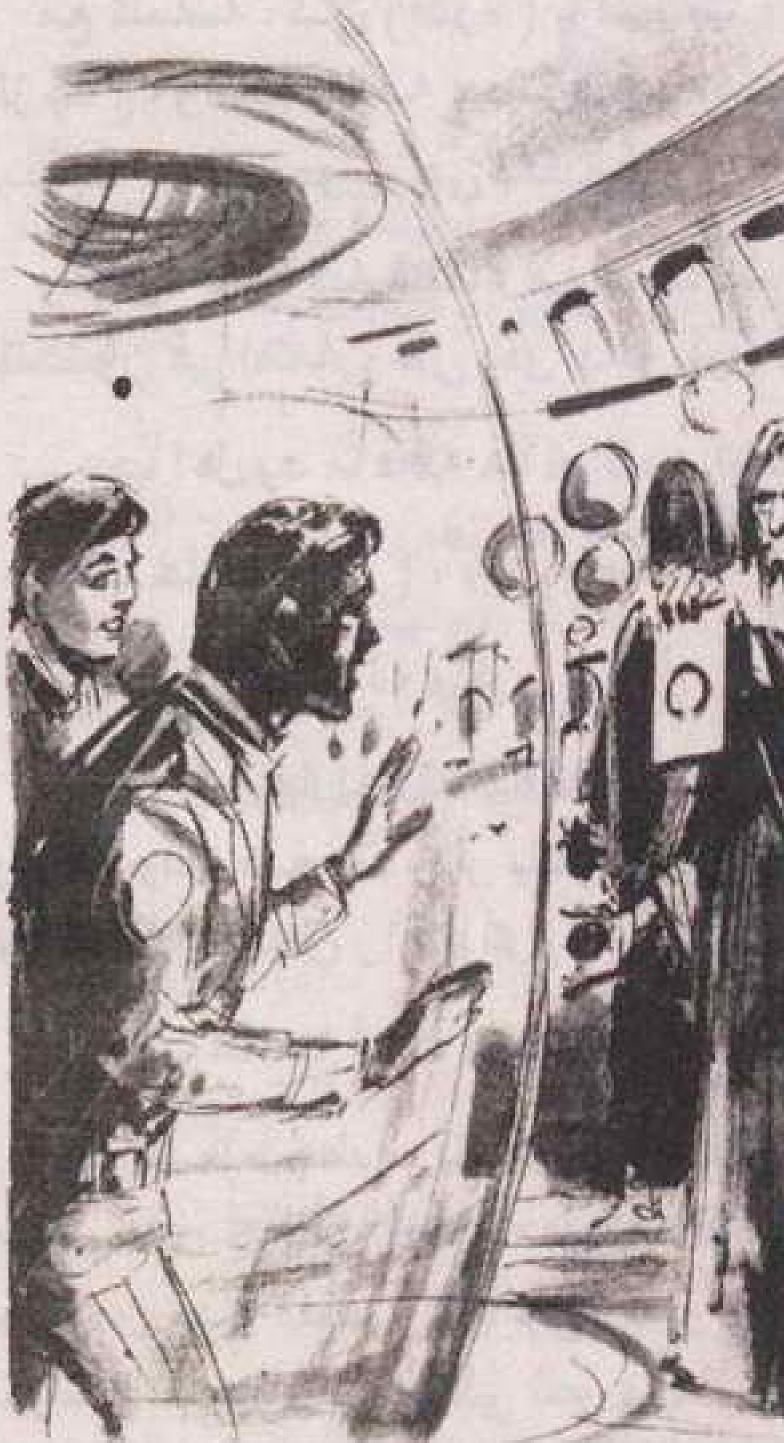

ودار بالكرة فوق اللوح ، فرسمت دائرة سوداء ، ما إن رآها (أكرم) ؟!..

وفى توتر ، التقط (أكرم) اللوح الأبيض ، الذى تراقصت الكرة السوداء الصغيرة فوقه ، وشعر وكأنه يجذبه من داخل غلاف من الإسفنج اللين ، على نحو أثار فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! يبدو أن هذه الوسيلة ستنجح ..

كان (نور) والآخرون يتطلعون إليه ، فى اهتمام بالغ ، عندما انعقد حاجباه ، وهو يتساءل بصوت مسموع :

ـ والآن ، كيف يمكن أن تعبّر بالرسوم ، على أنك قد أتيت من زمن آخر ، عبر فراغ زمنى كبير ؟!

باغتهم سؤاله جميعًا ، وكأنما لم يخطر الأمر ببالهم من قبل ..

والتقى حاجبا (نور) فى شدة ..

فهذه العقبة نسفت فكرة استخدام الرسوم ، كوسيلة للخروج من هذا الموقف العصيب ..

نسفتها من جذورها ..

تمامًا ..

* * *

لم يكن من الممكن أبدًا أن يرى (طارق) الخطر يهدد (نشوى) أمام عينيه ..

لقد قبل المهمة ، وجازف بالغوص عكسيًا عبر الزمن ، حتى يدافع عنها ، ويدرأ كل ما يمكن أن يواجهها من مخاطر ..

ومن المستحيل تمامًا أن يكون سببًا لما سيصيبها ..

من المستحيل تمامًا ..

لذا ، فقد وثب بكل كيانه نحوها ، ليحميها بجسده من أسلحة الأشباح ، فهتف زعيمهم فى صرامة :

- أريده حيًا ..

مع هتافه ، انطلقت من سلاح أحدهم فقاعة زرقاء ، شقت فراغ الحجرة بسرعة مذهلة ، لترتطم بجسد (طارق) فى قوة ..

ارتطمت بظهره ، وهو يندفع ، محاولاً حماية (نشوى) ، فتألق المكان بوهجها الأزرق ، وصرخت (نشوى) ، عندما اندفع جسده نحوها فى عنف ، ليصطدم بها فى قوة ، ويسقطا معًا أرضًا ، وهو ينتفض فى شدة ، قبل أن تهمد حركته تمامًا ..

وبكل ذعر الدنيا ، صرخت (نشوى) :

- أيها الأوغاد .. لقد قتلتموه ..

نهض زعيمهم ، وهو يتجه نحوها ، قائلاً فى صرامة وحشية شامتة :

- كلاً .. إنه لم يمت .. لقد صعقناه فحسب ..

ودفع جسد (طارق) بقدمه فى قسوة ، مستطردًا :

- وسيعود إلى وعيه ، فى غضون نصف الساعة فحسب ..

لاحظت ، فى تلك اللحظة فقط ، أنه قد تخلى عن هيئته الشبحية ، واستعاد كيانه المادى ، ليدفع جسد (طارق) ، قبل أن يطلق ضحكة ساخرة شرسة ، ويقول :

- أراهن على أنك تتساءلين ، عن سر عدم قتلى له ..

نهضت فى حذر ، قائلة :

- هذا صحيح ..

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أننى قد سئمت عمليات القتل التقليدية ، منذ زمن طويل ..

أشار إلى رجاله ، فأسرعوا يتخلّون عن كيانهم الشبحى بدورهم ، ليرفعوا جسد (طارق) عن الأرض ، وهو يتابع :

ـ لذا ، فنفسى تتوق إلى القتل بأسلوب مبتكر ..

غمغمت فى مقت :

ـ يا للحقارة !

أطلق ضحكة ساخرة شرسة ، ردًا على كلمتها ، قبل أن يهتف برجاله ، فى صرامة مباغتة :

ـ قيدوهما ..

انقضَ الرجال عليها ، وراحوا يقيدونها فى قسوة ، وكذلك فعلوا مع (طارق) الفاقد الوعى ..

ولم تقاومهم هى قط ..

كل ما ملأ ذهنها ، هو مصير الصغيرين ، الراقدين فى الحجرة المجاورة ..

كانت تتمنى من كل قلبها أن يظلا نائمين ، حتى لا ينتبه ذلك الشيطان ورجاله إلى وجودهما ..

ذلك الشيطان ، الذى يدهشها بشدة أنه ابن مثلها الأعلى بعد والدها ..

السيِّد (أمجد صبحى) ..

وفى عصبية ، قالت :

ـ ألا يروق لك قتل الناس ، إلا وهم مقيدون ، وعُزّل من السلاح ؟!

قهقه ضاحكًا ، قبل أن يجيب فى شراسة :

ـ قلت لك : إننى قد سئمت القتل التقليدى ، ولقد كان من السهل علىَّ أن أمحو مقاتلك المستقبلى من الوجود كله ، لو نسفت رأسك الآن ..

انتفض جسدها فى عنف مع عبارته هذه ..

ما الذى يعنيه بالضبط ؟!

ولماذا ربط وجود (طارق) بحياتها هي ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وفجأة، وعلى الرغم من دقة الموقف، استعاد عقلها ذكريات عديدة معه ..

مع (طارق) ..

« لن يمكنك أن تتصوَّرى مدى سعادتى برؤيتك أنت بالذات يا (نشوى)، فلم أكن أتصوَّر أن يتاح لى هذا قط .. » ..

عبارة قالها، فى رحلته السابقة لزمنها، وهو يتطلَّع إليها .. (*)

تُرى ما الذى كان يقصده بقوله هذا حينذاك ؟!

« فى هذه المرة، سيموت أمام عينيك، بأسلوب مبتكر .. » ..

انتزعها زعيم الأشباح بعبارته هذه، من لجة أفكارها، فرفعت عينيها إليه فى مقت، وهو يتابع فى استمتاع :

(★) راجع قصة (الفارس الثانى) .. المغامرة رقم (١٢٠).

- إنه يحمل فى حزامه عددًا من القنابل الارتجاجية، التى يؤدّى انفجارها إلى خلل فى التوازن الزمنى .. سأعمل على إحاطة جسده كله بها، وتوصيلها بمؤقِّت زمنى، بحيث تنفجر كلها، عندما نبتعد نحن عن هنا ..

وتراقصت فى عينيه ضحكة شيطانية ساخرة، وهو يضيف :

- وعندما يستعيد وعيه ..

هتفت فى مقت :

- يا للحقارة !

انطلقت من حلقه ضحكة عالية مجلجلة، وكأنما راقت له الكلمة، ومسح شفتيه بذراعه، قائلاً :

- المشكلة أن انفجار كل هذا العدد من قنابل الزمن الارتجاجية لن يؤدّى إلى الإخلال بالتوازن الخلوى له فحسب، وإنما لك أيضًا، وربما للمكان كله ..

ثم مال، ليقترب منها بشدة، حتى لفحت أنفاسه وجهها، وعيناه كادتا تلتصقان بعينيها، مع استطرادته الوحشية ..

كانت يداها مقيدتين أمام جسدها ، فرفعتهما بحركة سريعة غير متوقعة ، وغرست إظفر سبابتها اليسرى فى وجهه ..

وانطلقت من حلق زعيم الأشباح صرخة ألم ، وهو يتراجع فى حدة ، هاتفًا بكل ألمه وغضبه :

ـ أيتها الحقيرة :

قالها ، وهوى على كفها بلطمة عنيفة ، شعرت معها وكأن كيانها كله يرتجّ فى قوة ، فصاحت به فى غضب :

ـ أيها الحقير ..

اشتعلت عيناه بنيران الغضب هذه المرة ، والتفت إلى رجاله ، صائحًا :

ـ من الغبى ، الذى قيَّد يديها أمامها ، وليس خلفها ؟!

غمغم أحدهم فى ارتباك :

ـ الواقع أننى لم أتصوَّر أن ..

قاطعه فى غضب :

ـ لست أريد تفسيرات .. أعيدوا تقييدها فى إحكام ، وراجعوا قيود هذا المقاتل ..

وتطلَّع إليها فى غضب ، وهم يعيدون تقييدها ، قبل أن يضيف :

ـ ثم أعدوا الكعكة لهما ..

ومرة أخرى ، انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، عندما زرعوا تلك القنابل الارتجاجية الزمنية حول جسد (طارق) الفاقد الوعى ، قبل أن ينصرفوا ، وزعيمهم يقول ، فى شماتة ظافرة مقيتة :

ـ أبلغى تحياتى للرفاق فى الجحيم ..

هتفت به فى غضب :

ـ الجحيم ستذهب إليه أنت أيها الحقير ..

أطلق ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يشير إلى رجاله ، ويغادرون المكان ، ثم يغلقونه خلفهم فى إحكام ، والعدد التنازلى للمفجِّر الميقاتى يتناقص ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

* * *

٣ ـ صراع الكلمات ..

« أعتقد أن لدىَّ وسيلة .. » ..

نطق (نور) العبارة فى حزم ، وهو يلتقط اللوح الأبيض ، والكرة الصغيرة السوداء ، من يدى (أكرم) ، الذى سأله فى لهفة :

ـ حقًا يا (نور) ؟!

راح (نور) يحرِّك الكرة فوق اللوح ، وهو يجيب :

ـ أعتقد هذا ..

تطلَّع الكل إلى ما يرسم فى اهتمام شديد ، قبل أن تهتف خبيرة الصوتيات فى دهشة :

ـ إنك تكتب اسمك ..

أدار عينيه إليها ، قائلاً :

ـ بالضبط ..

نطقها ، وأدار عينيه ولوحه الأبيض ، نحو العلماء ، الذين بدا عليهم الاهتمام البالغ ، وهم يتابعون ما يحدث ، ثم نطق اسمه ، فى بطء وتركيز ، وهو ينقل سبَّابته ، بين حروف الاسم ، التى كتبها منفصلة ، وليس متصلة ..

ولثوان ، بدا وكأن أحدًا لم يستوعب الأمر كله ، حتى إن خبير الأشعة قد غمغم فى توتر :

ـ أظن أن ..

قبل أن تكتمل كلماته ، ظهرت على الشاشة الطويلة بغتة تلك الحروف ، التى كتبها (نور) ، وانبعث فى الوقت ذاته ذلك الصوت الإليكترونى ، قائلاً :

ـ (نور) ..

هتفت خبيرة الصوتيات فى انفعال :

ـ رباه ! لقد نجحت ..

أجابها (نور) فى حماسة ، وهو يكتب اسمه مرة أخرى ، بحروف متصلة هذه المرة :

ـ الفكرة نجحت ، وبقليل من الجهد ، سيعرفون مفرداتنا ..

أدار اللوح مرة أخرى إليهم ، وهو يكرّر اسمه ..

وفى هذه المرة ، ارتسم الاسم على الشاشة فى سرعة ، مع ترديد ذلك الصوت الإليكترونى لاسمه مرة ثانية ، فتساءل (أكرم) فى حيرة :

- لماذا التكرار ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- بهذا سيعلمون أنه لدينا حروف ، يصنع اتصالها كلمات ..

انعقد حاجبا الرائد (هيثم) ، وهو يقول :

- تمامًا مثلما نفعل ، مع طفل يتعلّم الكلمات لأوّل مرة ..

هتف (نور) ، وهو يكتب اسم (أكرم) بحروف منفصلة هذه المرة :

- بالضبط ..

كان من الواضح أن الأجهزة الإليكترونية ، التى يستخدمونها فى ذلك الزمن ، شديدة التعقيد والتقدُّم ؛

لأنها راحت تستوعب الأمر فى سرعة ، حتى إن (أكرم) قد بدأ الانتقال إلى ربط الرسوم بالكلمات ..

رسم لقرص يشعّ بالضوء ، وربطه بكلمة (شمس) ..

ورسم لجبل ..

وديناصور ..

ورجل ..

وامرأة ..

ويد ..

وقدم ..

وهكذا ..

لثلاث ساعات متصلة ، راح صراع الكلمات هذا يتواصل ، وعلماء ذلك الزمن يتابعون بمنتهى الشغف والاهتمام ، دون كلل أو ملل ، تلك الشاشة الطويلة ترسم الحروف ، والكلمات ، وتلك الكرات الشفافة تسجّل كل هذا ، وتعمل على تنسيقه ، وتحليله ، وربطه بالكلمات نفسها ، المستخدمة فى اللغة الأصلية ..

وفى إرهاق واضح ، هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ كم تتوقعون أن يستمر هذا ؟! إننى أكاد أتضوَّر جوعًا ..

وهنا تساءل خبير الأشعة فى توتر :

ـ ألن يطعمونا هنا ؟!

غمغم (نور) :

ـ بلى .. ولكننا لم نبلغهم أننا جياع بعد ..

تساءل الرائد (هيثم) فى حذر ليس له ما يبرره :

ـ وكيف سنبلغهم هذا ؟!

هتف (أكرم) فى صرامة :

ـ باللغة الدولية ..

ثم اتجه نحو جدار القفص الزجاجى ، وهو يحرّك يديه ، مضيفًا :

ـ لغة الإشارة ..

قالها ، وهو يشير إلى فمه ومعدته ، قائلاً :

ـ نحن جياع .. نريد طعامًا ..

ولدهشة الجميع ، انبعث الصوت الإليكترونى ، فى اللحظة نفسها ، ليكرِّر نفس كلماته ، قبل أن ترتسم على الشاشة صورة ملوَّنة للحم مشوى ، وكرَّر الصوت الإليكترونى :

ـ طعام .. طعام ..

وهنا تألَّقت عيونهم فى لهفة ..

فما حدث الآن ، وبعد تلك الفترة القصيرة نسبيًا ، كان يعنى قفزة ، فى الصراع لبناء جسور الحوار بين الطرفين ..

قفزة جبَّارة ..

★ ★ ★

فجأة ، ارتفع بكاء (محمود) الصغير ، من الحجرة المجاورة ، وهو يهتف :

ـ ماما .. أين أنت ؟!

خفق قلب (نشوى) فى لوعة ، وهى تهتف ، على الرغم من قيودها :

ـ أنا هنا يا صغيرى .. لا تقلق ..

كان قلبها يرتجف بين ضلوعها ، وهى تتطلَّع إلى الميقاتى الزمنى ، وإلى شاشة العدّ التنازلى ، التى تقترب من الصفر ، عندما خرج (محمود) الصغير من الحجرة ،

وهو يفرك عينيه ، متسائلاً بطفولته التلقائية ، من بين دموعه ، التى تغرق وجهه :

ـ أين نحن ؟! أين أبى ؟!

كان قلبها ينفطر لوعة ، وهى تتخيَّل ذلك الانفجار الزمنى الارتجاجى ، الذى يمكن أن يودى بالصغيرين أيضًا ، فسالت دموعها على وجهها بدورها ، وهى تقول :

ـ ابق فى حجرتك يا صغيرى .. لا تقف هنا ..

حدَّق الصغير فى قيودها ، والقيود التى تربط (طارق) إلى الجدار ، وهو يتساءل فى خوف :

ـ ماما .. ما هذا ؟!

عضت شفتها فى لوعة ، وبذلت جهدًا خارقًا ؛ للسيطرة على أعصابها ، وهى تقول :

ـ لا تخف يا صغيرى .. إنها لعبة .. مجرَّد لعبة ..

فوجئت بصوت (طارق) ، يقول فى إرهاق :

ـ هل تحب أن تلعب معنا ؟!

التفتت إليه فى لهفة ، هاتفة :

ـ (طارق) .. هل استعدت وعيك ؟! لقد استخدم أولئك الأوغاد قنابلك الارتجاجية الزمنية ، و ...

قاطعها (طارق) فى حزم ، على الرغم من الدوار العنيف ، الذى يكتنف كيانه كله ، والقيود التى تؤلم معصمه :

ـ لقد لاحظت ذلك ..

سألته فى رعب :

ـ هل توجد وسيلة للخلاص من هذا ؟!

أدار عينيه إلى الميقاتى الزمنى ، وقال فى حزم :

ـ هناك دائمًا وسيلة ما ..

ثم عاد يلتفت إليها ، مكملاً :

ـ إذا ما أحسنا استخدام عقولنا ..

بدت لها العبارة مألوفة بشدة ، وتتفق مع منطقها إلى حد مدهش ، حتى إنها حدَّقت فى وجهه ، مغمغمة :

ـ من أين تعلَّمت هذا ؟!

تطلَّع إلى عينيها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يدير بصره إلى الميقاتى الزمنى ، ثم يلتفت إلى (محمود) الصغير ، مكررًا :

- هل تحب أن تلعب معنا ؟!

هتفت (نشوى) فى عصبية :

- لا تقحم ابنى فى الأمر .. إنه ليس ...

قاطعها فى حزم :

- هل تتصورين أنه من الممكن أن أوذيه ، مهما كان الثمن ؟!

كلماته بالأسلوب الذى نطقها به ، جعلتها تطبق شفتيها ، وتحدق مرة أخرى فى وجهه بدهشة ، فى حين أدار هو عينيه إلى الصغير ثانية ، وقال وهو يرسم على شفتيه ابتسامة عذبة :

- محمود .. هل ترى هذا الزر الأحمر الكبير فى حزامى ؟

كان يتحدَّث عن حزامه هو ، وليس عن تلك الحزام الشبحى ، الذى استعاده الأشباح عند رحيلهم ، فتطلَّع الصغير إلى الزر الأحمر الكبير فى حذر ، قبل أن يلتفت إلى أمه متسائلاً ، مما جعلها تبتسم فى صعوبة ، قائلة :

- افعل ما يطلبه منك العم (طارق) يا صغيرى ..

عاد الصغير يتطلَّع إلى الزر الأحمر الكبير فى حذر ، فقال (طارق) ، وهو يحتفظ بابتسامته ، على الرغم من أن العد التنازلى يشير إلى أربعين ثانية فحسب ، قبل انفجار القنابل الارتجاجية الزمنية :

- هيا .. اضغطه بيدك الصغيرة ، لتبدأ اللعبة ..

خفق قلب (نشوى) مرة أخرى فى عنف ، وعيناها معلقتان بالميقاتى الزمنى ، وقالت فى توتر ، لم تستطع كبحه :

- هيا .. أطع ما طلبه منك العم (طارق) ..

تردَّد الصغير لحظة ، والعد التنازلى يتواصل ..

خمس وثلاثون ثانية ..

أربع وثلاثون ..

ثلاث وثلاثون ..

« هيا يا صغيرى .. افعلها .. افعلها .. » ..

هتفت (نشوى) بالعبارة ، وكل ذرة فى كيانها تنتفض ، فانتفض جسد الصغير مع هتافها ، وانفجر باكيًا فى عنف ..

والعد التنازلى يتواصل ..

تسع وعشرون ثانية ..

ثمان وعشرون ..

سبع وعشرون ..

ست وعشرون ..

« اضغط الزر الأحمر الكبير يا (محمود)، وستنهال عليك الحلوى .. » ..

تردَّد الصغير مرة أخرى فى حذر ..

والوقت يمضى فى سرعة مخيفة ..

عشرون ثانية ..

تسع عشرة ..

ثمان عشرة ..

وبصوت يفوح بالهدوء العذب ، غمز (طارق) بعينه ، مستطردًا :

ـ ناهيك عن الأضواء الجميلة ..

مسح الصغير دموعه ، وهو يمد يده إلى الزر الأحمر الكبير ..

وخفق قلب (نشوى) مرة أخرى ..

وضغط (محمود) الصغير الزر ..

ومع الضغطة ، تألَّق حزام (طارق) كله ، بضوء فيروزى هادئ ، لم يلبث أن انتشر فى جسده كله بسرعة كبيرة ، والعد التنازلى يتواصل ، على نحو مخيف ..

عشر ثوان ..

تسع ..

ثمان ..

وبحركة قوية ، قبض (طارق) عضلاته ، التى انبعثت فيها قوة هائلة مؤقتة ، و ...

ومزَّق قيوده دفعة واحدة ..

وبكل ذهولها ، هتفت (نشوى) ..

ـ مستحيل !

وثب (طارق) نحو القنابل الارتجاجية الزمنية ، وراحت أصابعه تتعامل مع الميقاتى الزمنى المتصل بها ، بأقصى

سرعة ممكنة ، وقلب (نشوى) يخفق بمنتهى العنف ، وهى تتابع العد التنازلى ..

خمس ثوان ..

أربع ..

ثلاث ..

ثانيتان ..

ثانية واحدة ..

وانتفض جسدها فى عنف ..

وانطلقت من حلقها شهقة مذعورة ..

ومن كل ذرة فى كيانها ، تصوَّرت أن الانفجار الارتجالى الزمنى سيحدث ، و ...

ولكن الميقاتى توقَّف عند الرقم واحد ..

وفى لحظة واحدة ، تحوَّل كل الانفعال فى كيانها إلى صرخة فرح :

ـ لقد نجحت يا (طارق) .. نجحت فى الـ ...

اختنقت الكلمات بغتة فى حلقها ، عندما امتقع وجهه فجأة ، على نحو نافس وجوه الموتى ، قبل أن يسقط على وجهه ، على قيد خطوة واحدة من (محمود) الصغير ، الذى عاد ينفجر بالبكاء فزعًا ، فى حين اتسعت عينا أمه (نشوى) عن آخرهما ، واختنقت الكلمات فى حلقها ..

اختنقت على نحو مؤلم ..

جدًا ..

* * *

الكل كان متحفزًا ومتأهبًا ، فى كل المواقع الاستراتيجية العسكرية فى (مصر) كلها ..

وزارة الدفاع ..

مجلس الشعب ..

الأمن القومى ..

المطارات الحربية ..

الموانى العسكرية ..

وحدات الرادار والمراقبة ..

الدفاع الجوى ..

وكل الأماكن الأخرى ، التى يفترض تعرُضها للهجوم ، فى ظلّ هذه الظروف ..

وفى مركز استقبال صور الأقمار الصناعية الجديد ، بدا التوتر واضحًا على كل الوجوه ، وقائد المكان يقول فى صرامة ، حملت قدرًا واضحًا من العصبية :

ـ الفجر سينبلج بعد قليل .. لا أريد أن يغمض لأحدكم جفن ، مهما بلغت درجة تعبكم وإرهاقكم ..

كانت كلماته تعنى الكثير للرجال ، الذين تأهّبت وتحفّزت عضلاتهم وأعصابهم ، على نحو لم يحدث من قبل ، حتى إبان احتلال الأرض ..

ولقد نال منهم التوتر ، والتحفُّز المستمر ، حتى أصبح من المرهق أن يحتفظ الواحد منهم بعينيه مفتوحتين ..

ثم إن عملهم نفسه ، يحتاج منهم إلى منتهى الدقة والانتباه ..

وطوال الوقت ..

وفى تلك الظروف بالذات ، كان عليهم أن يستقبلوا كل صورة أو معلومة ، تنقلها الأقمار الصناعية بكل أنواعها ، والعمل على دراستها وتحليلها ، وتقييم نتائجها ، وإرسال التقارير أوّلاً فأولاً ، لوزير الدفاع ، وطاقم أركان حربه ومعاونيه ..

ولكن العجيب أن كل النتائج كانت تأتى سلبية ..

سلبية تمامًا ..

ولقد أثار هذا حيرتهم ، وارتباكهم ، وتوترهم ..

وإلى أقصى حد ..

فمن بين كل رجال الأمن ، فى (مصر) كلها ، كان هؤلاء بالذات أكثر من يعرف ما حدث ..

وأكثر من رصده ..

وأدركه ..

لذا ، فالتساؤل الذى ملأ النفوس هو أين ؟!

ولماذا ؟!

أين ذهب من فعلوا هذا كله ؟!

ولماذا فعلوا ما فعلوه ؟!

ثم لماذا أصبحت النتائج كلها سلبية ، بعد حالة عنيفة من النشاط والتوتر ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان السؤال نفسه يدور فى ذهن قائد المركز ، عندما وقع الهجوم المتوقَّع ..

بغتة ..

فعلى الرغم من كل وسائل التأمين والمراقبة ، والتى استخدمت أحدث وأقوى الأجهزة الدفاعية ، وأعلى درجات التكنولوجيا المتاحة ، فوجئ الكل بتلك الأشباح المستقبلية تقتحم المكان بغتة ..

وبأقصى قدر ممكن من العنف ..

ودون سابق إنذار ، تفجَّرت الفقاعات الصفراء ، والأرجوانية الداكنة ، فى كل مكان ..

ومع عنف المفاجأة ، انهار النظام كله دفعة واحدة ، وراح رجال الأمن يطلقون مدافعهم عشوائيًا ، فى كل الاتجاهات ، و ...

وفجأة ، سطع فى المكان كله ذلك الضوء القوى ..

ثم خبا دفعة واحدة ..

وساد المكان هدوء تام ..

بل سكون تام ..

فباستثناء الآلات ، التى تواصل عملها ، فى التقاط صور الأقمار الصناعية ، وكل ما ترسله من معلومات ، لم يعد هناك رجل واحد ، من كل من ينبغى تواجدهم .. فقط هؤلاء الأشباح ، الذين أطلق أحدهم ضحكة عالية مجلجلة وحشية ، وهو يهتف :

- انتصار ساحق كالمعتاد ..

برز شبح زعيمهم ، وعيناه تتألقان فى ظفر واضح ، وهو يقول :

- أمر طبيعى .. إن كل أسلحتهم ، على الرغم من قوتها ، تبدو أشبه بلعب الأطفال ، بالنسبة للزمن الذى أتينا منه ..

قال رجل آخر ، فى جشع واضح :

- وعلى الرغم من هذا ، فقد تساوى ثروة طائلة ، فى زمن آخر ..

انعقد حاجبا زعيمه ، وهو يضغط زرًا فى حزامه ، ليستعيد كيانه المادى ، قائلاً فى صرامة :

- بالتأكيد ..

ثم أشار بذراعه ، وهو يكمل بلهجة آمرة قاسية :

- والآن هيا .. لن نضيع الوقت فى الزهو بانتصار متوقَّع .. ابدءوا عملية الانتشار والسيطرة ، وفقًا للخطة .. طاقم الحماية والتأمين يظلّ محتفظًا بشبحيته ، فى حين يستعيد الباقون ماديتهم .. أريد إعادة تشغيل هذا المركز بالكامل ، خلال دقائق معدودة فحسب ..

وتضاعف انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف بصرامة حملت رنة وحشية :

- أنتم تدركون أهمية هذا ، بالنسبة لوجودنا ..

اندفع الكل لتنفيذ أوامره ، دون أدنى مناقشة أو اعتراض ، فى حين عادت عيناه هو تتألقان ، على نحو غير طبيعى ، وهو يتجه إلى مركز الاتصالات الفضائية الفائقة ، الذى أقيم منذ بضع سنوات قليلة ، لتأمين الاتصال بالمركبات الفضائية ، التى يتم إطلاقها خارج حدود المجرة ..

ولثوان ، وقف يتطلّع إلى أجهزة المركز ، قبل أن يضغم ، فى ظفر جعله أكثر وحشية من كل وحوش الأرض :

- الآن تبدأ العملية الحقيقية ..

وبسرعة مدهشة ، تفوق سرعة الإنسان العادى ، راحت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر ، لبيث رسالة طويلة ، عبر أجهزة الاتصالات الفائقة ، إلى الفضاء البعيد .. البعيد جداً ..

* * *

« السفر عبر الزمن ، هو أكبر تهديد يواجه العالم يا (طارق) .. » ..

نطق القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية الحربية بهذا ، وهو يواجه (طارق) ، الذى شدّ قامته ، فى وقفته العسكرية الثابتة ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، فتابع القائد الأعلى :

- فعندما أثبت (ألبرت أينشتين) ، فى نظريته النسبية ، فى بدايات القرن العشرين ، إمكانية السفر عبر الزمن ، لم يكن فريق كبير من العلماء يؤمن بإمكانية تحقيق هذا عمليًا ، كما تم تحقيقه فى المعادلات الرياضية ..

ثم توقَّف ، واستدار إليه ، متسائلاً :

ـ هل تعلم لماذا ؟!

شدّ (طارق) قامته أكثر ، وهو يقول :

ـ بسبب نظرية السببية يا سيِّدى(*) ..

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط ..

ثم عاد يتحرك فى المكان ، مواصلاً :

ـ فمنذ ظهر احتمال السفر إلى الماضى ، فى ظل معادلات (أينشتين) ، بدأ العلماء يدرسون ما يمكن أن يفعله هذا ، قبل أن يضع فريق منهم نظرية السببية ، التى تتحدَّث باختصار عن كل ما يمكن أن يسببه السفر إلى الماضى ، من مشكلات معقَّدة للحاضر والمستقبل ، وتناقش قضية بعينها ، وهى أنه لو سافرت أنت إلى الماضى مثلاً ، ثم تسبَّب سفرك هذا فى مصرع أحد والديك ، قبل أن تولد ، فهذا سيعنى أنك ستمحى أساسًا من الوجود ، فما يؤدى إلى أنه لن يكون لك مستقبل ،

(*) نظرية علمية حقيقية .

لتسافر منه إلى الماضى ، وبالتالى ، سيصبح من المستحيل أن تتسبَّب فى مصرع أحد والديك ..

وتوقَّف ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ هل ترى كيف يبدو الأمر معقَّدًا ؟!

غمغم (طارق) :

ـ للغاية !

أطلق القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية الحربية زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق صدره ، وهو يقول :

ـ ما فعله أولئك القراصنة الزمنيون إذن ، برحلتهم الشرسة إلى ماضينا ، قد يهدد حاضرنا ، ومستقبلنا أيضًا بالفناء ، وربما كان وجودنا ، حتى هذه اللحظة ، يعنى أن ما أرادوه لم يتحقَّق فعليًّا .. أو ربما يعنى أن منحنى التغير الزمنى لم يأخذ مساره بعد ..

ورفع ذراعيه ، وخفضهما ، مكملاً فى مرارة :

ـ لا أحد يدرى .. ولا أحد يمكنه أن يدرى .. ربما ننمحى فجأة من الوجود ، إذا ما نجح القراصنة فى مهمتهم القذرة ، أو يتغيَّر ماضينا فنجد أنفسنا فى واد آخر ، ووظائف أخرى ..

ومال بجسده ، وهو يلوّح بسبّابته ، متابعًا فى حزم متوتر :

ـ ولكن الأمر المؤكَّد ، هو أننا لن نعرف أبدًا ماذا حدث ؛ لأنه عندئذ سيكون جزءًا من واقعنا ، منذ لحظة الانحراف الزمنى ..

اعتدل مرة أخرى ، وانطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة كاللهب ، وهو يضيف :

ـ أمر رهيب ..

ثم وضع يده على كتف (طارق) ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول ، بكل الحزم :

ـ وهذا يعنى أن حاضرنا ومستقبلنا ، ومستقبل ومصير الأرض كلها ، يعتمد عليك ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) ، فلا تخذلنا قط .. مهما كان الثمن ..

أجابه (طارق) ، بكل القوة والحماسة :

ـ سأبذل حياتى ، لو اقتضى الأمر يا سيِّدى .. من أجل المستقبل .. مستقبلنا جميعًا ..

« من أجل المستقبل .. » ..

« من أجل من تحب .. » ..

« من أجلها .. » ..

« (نشوى) .. » ..

هتف (طارق) باسمها ، وهو يستعيد وعيه بحركة مباغتة ، تلاشت معها كل أحلام وذكريات البداية ، وفتح عينيه يتطلّع إليها ، وإلى الدموع التى أغرقت وجهها ، وهى تقول :

ـ حمدًا للّه .. حمدًا للّه .. تصوَّرت بعض الوقت أنك لن تستيقظ أبدًا ..

هبَّ من رقاده ، وهتف ، وهو يندفع ليحلّ قيودها :

ـ هل بقيت طويلاً فاقد الوعى ؟!

أجابته من وسط دموعها :

ـ ما يقرب من الساعة ..

هتف (طارق) باسمها ، وهو يستعيد وعيه بحركة مباغتة ..

ألقى نظرة متوترة ، على (محمـود) الصغير ، النائم علـى الأرض ، والدمـوع تغرق وجهـه البرىء كلـه ، وغمغم فى عصبية :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

شعرت بارتياح غامر ، عندما استعاد وجهه نضرتـه ، وتلاشى منه ذلك الشحوب المخيف ، الذى سيطر عليـه ، طوال فترة فقدانه لوعيه ، ولم يكد يحلّ قيودها ، حتى أسرعت تلتقط صغيرها ، وتضمه إلى صدرها فى حنان ، متسائلة فى لهفة وفضول :

ـ ماذا أصابك ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يجيب فى توتر :

ـ ذلك الزر الأحمر مصنوع للطـوارئ القصـوى ، حيث يؤدى الضغط عليه إلى إطلاق هرمون صناعى خاص فى الدم ، يفوق تأثيره مادة الأدرينـالين(*) ، بست مرات علـى الأقل ، بحيث يضاعف من قوة الجسم مرحليًا ، على نحو مدهش ..

(*) الأدرينالين : هرمون يفرزه نخاع الغدة الكظرية ، وظيفته الرئيسية هى الإعانة على تعبئة موارد الجسم ، فى أوقات الإجهاد أو الخطر ، حيث يتم إفرازه فى الدم بكثرة ، فى هذه الحالات ، لذا فهو يعرف باسم (هرمون الطوارئ) .

هتفت بدهشة :

ـ ولكنك فقدت الوعى بعدها ..

أومأ برأسه ، مجيبًا :

ـ هذا رد فعل حيوى طبيعى ، فعندما تجبرين جسدك على تجاوز قدراته الطبيعية ، لابد وأن يصاب بعدها بالسكون والاسترخاء التامين ؛ لاستعادة الطاقة المستهلكة ، شئت أم أبيت(*) ..

لم تدر لماذا شعرت بمزيج من الحنان والزهو ، وهى تتطلَّع إليه ، ولا لماذا دفعها هذا إلى احتضان صغيرها (محمود) على هذا النحو ، ولكن تلك الخفقات فى قلبها جعلتها ترتجف ، ودفعت قشعريرة باردة فى عروقها ، و ...

« من أنت بالضبط يا (طارق) ؟! » ..

انطلق السؤال من بين شفتيها ، فى لهفة عجيبة ، ودون أن تدرى حتى كيف ، فاستدار هو إليها بحركة حادة ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، فى صمت مهيب عجيب ..

(★) حقيقة علمية .

وفى عينيه قرأت الكثير ..

والكثير جدًا ..

ولقد ذكَّرها ذلك بعينى شخص قريب إليها ..

قريب جدًا ..

وانتفض جسدها ، وهى تحدِّق فى تلك العينين الهادئتين العميقتين ، و ...

وفجأة ، أبعد (طارق) عينيه ، وأشار إلى الكمبيوتر ، متسائلاً :

ـ أهناك وسيلة هنا ، لمعرفة ما فاتنا ؟!

كانت تعلم أنه يحاول التهرُّب من الجواب ، ولكنها لم تبذل أدنى جهد لدفعه إلى العكس ، وإنما أجابته فى سرعة وحسم :

ـ بالتأكيد ..

أعادت صغيرها إلى حجرته ، ثم اتجهت نحو الكمبيوتر مباشرة ، متابعة :

ـ عندما أنشأنا مخبأ الطوارئ هذا ، كان أول ما حرصت عليه ، هو ربطه بكل شبكات المعلومات ، وكل أجهزة الكمبيوتر الأمنية ، فى (مصر) كلها ، تحسبًا لموقف كهذا ..

بدأت أصابعها تجرى على أزرار الكمبيوتر لبضع لحظات ، قبل أن تسأله بغتة ، فى اهتمام وفضول :

ـ ماذا سيحدث لى فى المستقبل ؟!

ابتسم ، مجيبًا فى حذر :

ـ ستصبحين رمزًا للعبقرية والبطولة ..

سألته فى حزم :

ـ أعنى ماذا سيحدث لى جسديًا ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يراقبها فى صمت ، فأدارت عينيها إليه ، متسائلة فى توتر :

ـ هل سألقى مصرعى ؟!

تطلع إلى عينيها مباشرة ، لثانية أو ثانيتين ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

ـ لدينا ، فى مستقبلكم ، قاعدة تقول : إنه لو علم المرء مستقبله لهدَّد وجوده كله بالفناء ..

تساءلت فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

أشار بسبَّابته ، مجيبًا :

ـ لأن هذا قد يمنعه من القيام بأعمال ، سيكون لها تأثير مهم جدًا فى مستقبله ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف ، فى بطء حذر :

ـ وربما فى مستقبل الأرض كلها ..

هذه المرة ، تحاشت النظر إلى عينيه العميقتين ، وعادت تعمل على الكمبيوتر ، فتأمَّلها هو بضع لحظات أخرى فى حنان ، قبل أن يقول :

ـ ثم إننا ، عندما بدأنا عملنا ، فى المخابرات الزمنية ، وهو جهاز جديد ، تم إنشاؤه ، بعد كشف السفر عبر الزمن ، أقسمنا على كتمان كل الأحداث المستقبلية ، عن الأزمنة التى نسافر إليها ، ومن الضرورى أن أبرّ بقسمى ..

وتنهَّد مضيفًا :

ـ هذا واجبى ..

تمتمت فى عصبية ، وأصابعها تواصل عملها ، على أزرار الكمبيوتر :

ـ لو أننى فى موضعك ، لفعلت المثل تمامًا ، ولكن ...

بترت حديثها بشهقة مباغتة ، جعلته يهتف :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابته فى انفعال :

ـ لقد استولى غزاة الزمن على مركز استقبال صور الأقمار الصناعية الرئيسى ، ومركز الاتصالات الفضائية الفائقة ..

هتف ، وهو يندفع نحوها :

ـ يا إلهى ! لم أتوقَّع هذا أبدًا ..

بدا وجهها شاحبًا ممتقعًا ، وهى تقول :

ـ ولكنه يخيفنى بشدة ..

انعقد حاجباه ، وهو يقول ، وقد تضاعف توتره :

ـ بالتأكيد ، فسعيهم للسيطرة على الأقمار الصناعية ، ووحدات الاتصالات الفائقة ، يعنى أنهم يخططون لأمر بعيد المدى ..

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ الأمر لا يقتصر على هذا ..

وتضاعف شحوب وجهها وامتقاعه ، وهى تضيف :

ـ لقد بثوا رسالة ، إلى الفضاء البعيد ..

ردَّد ، وكل ذرة فى كيانه تنتفض :

ـ رسالة ؟!

أجابته فى انفعال :

ـ نعم .. رسالة شفرية طويلة ، لم أعمل على حل رموزها بعد ، ولكن ما يخيفنى هو تردُّد البث ..

سألها فى حذر قلق :

ـ ولماذا ؟!

ارتجف صوتها أكثر ، وهى تجيب :

- لأن هذا الترددُ يكفى ، لبث رسالة إلى كوكب بعيد ، نعرفه جميعًا هنا ..

أطلَّ التساؤل من عينيه ، فتابعت فى شىء من الذعر :

- (أرغوران)[*] ..

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة ..

* * *

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

٤ـ أعماق الزمن ..

بدت خبيرة الصوتيات مبهورة ، وهى تدير عينيها فيما حولها ، هاتفة :

- ياله من تغيير تام ! لقد أخرجونا من ذلك القفص الزجاجى الكبير ، الذى كان يجعلنا نشعر وكأننا حيوانات تجارب ، ونقلونا إلى هذا المكان الفاخر ، حيث توجد لكل منا حجرة منفصلة ، لها دورة مياه خاصة ، ودرجة حرارة مدهشة ..

تلفَّت (نور) حوله بدوره ، وهو يقول :

- ولكننا مازلنا سجناء إلى حد ما ، فأبواب المكان تُفتح من الخارج فقط ..

غمغم الرائد (هيثم) :

- إنه انتقال إلى الأفضل على الأقل ..

أطلق (أكرم) زفرة ملتهبة من صدره ، وهو يقول ، فى شىء من العصبية :

ـ أتعشَم هذا ..

تطلَّعت إليه خبيرة الصوتيات بضع لحظات ، فى إعجاب واضح ، قبل أن تميل نحوه ، لتسأله فى دلال :

ـ ألأنت متزوِّج حقًّا ؟!

أجابها فى شىء من الخشونة :

ـ نعم ..

هزَّ خبير الأشعة رأسه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ السؤال هو لماذا ؟!

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ لماذا تزوَّجت ؟!

لوَّح خبير الأشعة بيده نفيًا ، وهو يقول ، فى عصبية أكثر :

ـ بل لماذا هذا الانتقال ؟!

فوجئ الكل بصوت إليكترونى ، يجيب :

ـ لأنكم تستحقون هذا ..

استدار الكل بحركة واحدة ، إلى مصدر الصوت ، ووقفت أبصارهم على شخص مهيب الطلعة والهيئة ، يغرق كله فى البياض ، بثوبه الأبيض الناصع ، وشعره ولحيته الأشيبين ، وهو يقف عند أحد الجدران ، وحوله رجلان أصغر سنًّا ، يحمل كل منهما عصا بيضاء قصيرة ، وحقيبة صغيرة مستديرة ، من اللون نفسه ..

وفى دهشة عصبية ، هتف (أكرم) :

ـ كيف دخلتم إلى هنا ؟! إنكم لم تكونوا داخل المكان ، منذ لحظة واحدة ..

تحرَّكت شفتا ذلك المهيب بكلمات هادئة ، انبعث بعدها ذلك الصوت الإليكترونى ، قائلاً بالعربية :

ـ من الواضح أنه هناك أمور عديدة هنا ، لايمكنكم فهمها أو استيعابها ..

قال (نور) فى حذر :

ـ أعتقد أنه على رأسها قدرتكم المدهشة ، فى فهم واستيعاب لغتنا ، فى هذه الفترة القصيرة جدًا ..

ابتسم المهيب ، قائلاً :

ـ لقد حصلنا على الكثير من عقولكم ، فى أثناء غيبوبتكم الطويلة ، وكنا نحتاج فقط إلى بعض المفاتيح ، التى قدمتموها أنتم إلينا ، بذكاء أدهش فريق علمائنا ، وجعلنا ندرك مدى عبقريتكم ، على الرغم من تخلفكم الحضارى الواضح ..

هتفت خبيرة الصوتيات فى استنكار غاضب :

ـ تخلُفنا الحضارى ؟!

اتسعت ابتسامة المهيب ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالنسبة لنا على الأقل ..

لم تكن حركات شفتى المهيب تتفقان ، مع الكلمات الإليكترونية المنطوقة ، لذا فقد سأله (نور) :

ـ هذا جهاز ترجمة فورية إليكترونى .. أليس كذلك ؟!

أدار المهيب عينيه إليه ، مجيبًا بنفس الهدوء :

ـ بالضبط .. لقد سجلنا كل كلمة نطقتم بها ، وكل حديث تبادلتموه ، فى أثناء فترة احتجازكم ، وقمنا بمزج هذا بكل انفعال بدر منكم ، وكل رد فعل ، وأضفنا هذا كله إلى ما استخرجناه من عقولكم ، لنصنع هذا البرنامج الجديد ..

قال الرائد (هيثم) ، فى صوت حمل نبرة صارمة :

ـ إذن فأنتم تعلمون الآن أننا بشر مثلكم ..

أجابه المهيب فى هدوء :

ـ لقد تأكَّدنا من هذا ، عندما فحصنا أجسادكم ، ظاهريًا وداخليًا ، فى أثناء فترة فقدانكم الوعى ..

اندفع (نور) يسأله بغتة :

ـ وكم استغرق هذا ؟!

أشار المهيب بيده ، مجيبًا :

ـ ما يزيد قليلاً على دورة قمرية واحدة (*) ..

(★) الدورة القمرية : القمر جسم مظلم ، ينعكس عليه ضوء الشمس ، ويتغيَّر الجزء المستضىء المرئى منه ، فى الحجم والشكل ، من هلال رفيع إلى بدر مكتمل ، وبالعكس ، وتستغرق دورة القمر حول مساره (٢٧,٥) يومًا ، وتستغرق الدورة ، ما بين كل هلال وآخر (٢٩,٥) يومًا .

اتسعت عيونهم فى ذهول ، وهتف خبير الأشعة مستنكرًا :

ـ هل تعنى أننا فقدنا الوعى، لما يقرب من شهر كامل ؟!

تردَّد المهيب لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لو أن هذا ما تطلقونه على الدورة القمرية المكتملة ..

تبادل الكل نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم (نور) :

ـ رباه ! لم أكن أظن أن الخروج من فراغ زمنى ، يدمر الجسد إلى هذا الحد ..

بدا الاهتمام والانتباه على وجه المهيب ،وهو يقول ، عبر ذلك المترجم الإليكترونى :

ـ فراغ زمنى ؟! إذن فقد أتيتم من زمن آخر بالفعل ، كما اتفق رأى بعض علمائنا ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا كنتم تظنوننا إذن ؟!

أجابه المهيب بنفس الهدوء :

ـ فى البداية ، عندما كشفتكم إحدى دورياتنا ، داخل تجويف مبهم فى السماء ، تصورَّنا أنكم مخلوقات من عالم آخر ، أو من بعد زمنى آخر ، ولقد ظلَّ هذا الاعتقاد لدى البعض ، حتى بعد أن تأكَّدنا من بشريتكم ، على الرغم من جباهكم الضيقة ، التى جعلت البعض يتصورَّ أن معدلات الذكاء لديكم ستكون منخفضة عنا ..

غمغم (أكرم) فى حدة :

ـ يا للغرور !

لم يبد حتى أن المهيب قد سمعه ، وهو يواصل :

ـ ولأن ثيابكم كانت تختلف عما ألفناه ، وكذلك الأدوات التى تحملونها ، وتلك الخوذات الداكنة العجيبة ، فقد افترض البعض أنكم تنتمون إلى حضارة أخرى ، فى مكان مجهول ، من عالمنا المحدود ..

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ما الذى تعنيه بعالمكم المحدود هذا ؟!

تجاهله المهيب تمامًا ، وهو يكمل بنفس الهدوء :

ـ ثم ظهرت نظرية الزمن الآخر ..

صمت عند هذه النقطة ، وأدار عينيه فى وجوههم ، قبل أن يتابع :

ـ فريق من علمائنا افترض أنكم تنتمون إلى زمن آخر ، وأنكم قد انتقلتم إلى زمننا بوسيلة ما ، لم يمكنهم تحديدها بالضبط ، ولكن هذه النظرية لاقت الاعتراض من فريق آخر ، نظرًا لأن كل ما يتعلّق بكم لم يكن له مثيل ، فى أى زمن قديم ، وفقًا للتاريخ المسجّل لدينا ، وكل الشواهد التى عثر عليها علماء دراسات الزمن والأحداث الماضية ..

قال (نور) فى حزم :

ـ ألم يدر بخلدكم قط أننا قد ننتمى إلى مستقبلكم ؟!

ابتسم المهيب ، وهو يقول :

ـ هذا غير وارد بالتأكيد ..

سألته خبيرة الصوتيات فى تحد :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابها فى هدوء وبساطة :

ـ لأن المنطق العلمى يرفض هذا ، بكل المعايير والمقاييس ؛ فكل شىء لديكم يعد بالنسبة لنا بدائيًا ، إلى حد ما ، والمفترض أن يمضى التقدّم إلى الأمام دائمًا ،و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ ليس بالضرورة ..

انعقد حاجبا المهيب ، وهو يقول فى دهشة :

ـ وكيف هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ بكارثة طبيعية مثلاً .. نيزك يتجاوز الغلاف الجوى الأرضى ، ليسبب دمارًا شاملا ، ويقضى على حضارات كاملة ، بحيث يضطر الناجون إلى البدء من الصفر ، بقواعد جديدة ، وأهداف مختلفة ..

تردّد المهيب لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا فى قوة ، قائلاً :

ـ لا .. إنه احتمال بعيد ..

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ولكنه احتمال قائم ، والعلماء فى زمننا ، يؤكدون أن الديناصورات قد انمحت من الأرض ، بسبب كارثة طبيعية مشابهة (*) ..

بدت الدهشة مرة أخرى على وجه المهيب ، وهو يتساءل :

ـ الديناصورات ؟! وما هى هذه الديناصورات ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ألا تعرف ما هى الديناصورات ؟! إنها تلك الحيوانات الضخمة ، التى تستخدمونها هنا ، كوسائل للركوب ..

ابتسم المهيب ، وهو يقول :

ـ آه .. تقصدون (الكواركات) ؟!

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ ماذا ؟!

(*) نظرية علمية حقيقية .

اتسعت ابتسامته ، مع قوله :

ـ (الكواركات) هى تلك الحيونات الضخمة ، التى أثار أحدها انتباهكم واهتمامكم بشدة ، فى أثناء وجودكم داخل ناقوس الاختبار ..

تساءل الرائد (هيثم) فى حذر :

ـ هل تطلقون على الديناصورات اسم (الكواركات) ؟!

صمت المهيب بضع لحظات ، قبل أن يسألهم فى اهتمام :

ـ ما معلوماتكم عن هذه الـ ... الديناصورات ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ أنها حيوانات ضخمة ، سادت الأرض ، فى عصور ما قبل التاريخ المكتوب ، بعدة ملايين من السنين ، قبل أن تفنى وتنقرض ، بسبب كارثة طبيعية عنيفة ..

التقى حاجبا المهيب فى شدة ، وهو يردِّد :

ـ عصور ما قبل التاريخ ؟! ملايين السنين ؟! تنقرض ؟! أية معلومات هذه ؟!

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يسأله (نور) :

ـ وما معلوماتكم أنتم ، عن هذه (الكواركات) ؟!

أجابه المهيب ، وكأنه يتحدَّث عن أمر لاجدل فيه :

ـ (الكواركات) مجرَّد حيوانات تخليقية ..

سألته خبيرة الصوتيات فى توتر :

ـ ماذا تعنى بمخلوقات تخليقية ؟!

أجابها فى حزم :

ـ أعنى أنها حيوانات لم يكن لها وجود حقيقى فى الطبيعة ، حتى أمكننا تخليقها فى المعامل ، باستخدام ما نطلق عليه اسم (هندسة الجينات الوراثية) ..

اتسعت عيون الكل ، و(أكرم) يهتف فى انفعال :

ـ حديقة الديناصورات ..

فقد كان هذا يعنى أنهم بالفعل فى الزمن ، الذى توقعته خبيرة الصوتيات منذ البداية ..

المستقبل ..

المستقبل البعيد ..

جدًّا ..

★ ★ ★

، « لقد سيطروا على كل الأقمار الصناعية الدفاعية أيضًا ، يا سيادة الوزير .. » ..

نطق أركان حرب وزير الدفاع بالعبارة ، فى توتر بالغ ، قبل أن يشير بيده ، مستطردًا فى ارتباك :

ـ وهذا يعنى أنه من المحتم أن تنتقل القيادة ، إلى مخبأ الطوارئ النووية فورًا يا سيِّدى ..

عقد الوزير كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل تظن أن هذا سيوقفهم ؟!

تضاعف توتر أركان الحرب ، وهو يقول :

ـ سيطرتهم على الأقمار الدفاعية ، يعنى قدرتهم على توجيه مدافع الليزر بها ، إلى أى هدف أرضى ، وتدميره فى خلال ثوان معدودة ، والمكان الوحيد ، الآمن من تلك المدافع ، هو مخبأ القيادة العليا ، للطوارئ النووية ..

التقط الوزير نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

ـ وماذا عن باقى الضباط والجنود ؟!

هتف أركان الحرب :

ـ سيِّدى ..

قاطعه الوزير ، وهو يكمل فى حدة :

ـ وماذا عن المواطنين .. الرجال ، والنساء ، والشيوخ ، والأطفال ؟! هل يمكن نقلهم جميعًا ، إلى المخبأ النووى ؟!

قال أركان الحرب :

ـ سيادة الوزير .. القواعد تنصّ على حماية القيادات العليا أوّلاً ..

صرخ الوزير فى وجهه :

ـ خطأ .. أكبر خطأ ..

ثم شدّ قامته ، وهو يكمل فى اعتداد :

ـ إننى لم أحصل على كل هذه الأوسمة ، التى تزين صدرى ، لكى أهرع لحماية نفسى ، فور أن يحيط الخطر بموطنى ، تاركًا الشعب كله خلفى ..

هتف أركان الحرب :

ـ إنه إجراء استراتيجى محض يا سيادة الوزير ، ولا شأن له بالمشاعر والصفات الشخصية ..

صاح به الوزير ، فى حزم صارم :

ـ لن أغادر موقع القيادة أبدًا ..

ودق سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا :

ـ سأقاتل من هنا ..

كاد ضابط أركان الحرب ينهار ، وهو يهتف به :

ـ سيادة الوزير .. أرجوك ..

قبل أن يتمّ هتافه ، انطلق أزير جهاز الاتصال الخاص ، فى ساعة يده ، فرفعها إليه فى لهفة متوترة ، وضغط زرًا بها ، قائلاً فى انفعال :

ـ ماذا هناك ؟!

لم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى امتقع وجهه بشدة ، ورفع عينيه الذاهلتين إلى الوزير ، قائلاً فى اضطراب شديد :

ـ لقد .. لقد هاجمت تلك الأشباح مخبأ الطوارئ النووى ، و ... و ..

أكمل الوزير فى صرامة :

ـ وأبادت كل من فيه .. أليس كذلك ؟!

أومأ أركان الحرب برأسه إيجابًا ، فى امتقاع أكثر ، فشدّ الوزير قامته مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أرأيت .. كان هذا إجراءً متوقَّعًا منهم ، مادام تنصّ عليه القواعد الجامدة ، التى يعلمون أننا سنطبقها حتمًا ..

وعاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

ـ لقد كنت على حق .. سنقاتل من هنا ..

هزّ أركان الحرب رأسه فى مرارة ، قائلاً :

ـ هذا مستحيل !

هتف به الوزير فى غضب :

ـ ولماذا ؟!

أجابه فى يأس :

ـ لأنهم أيضًا يتبعون القواعد ، ومداموا يسعون للسيطرة الكاملة ، فلابد أن يتجهوا الآن إلى الهدف التالى الحتمى ..

أطلّ التساؤل من عينى الوزير ، فتابع أركان حربه بصوت منخفض :

ـ سيادتك ..

ومع آخر حروف كلمته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بحجرة الأمن الرئيسية ، فى مدخل الممر ، الذى يقود إلى حجرة الوزير ، وارتجّ معه باب مكتبه فى قوة ، فهتف أركان الحرب ، وهو يسحب مسدسه الليزرى :

ـ سيّدى الوزير ..

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى لخترق قراصنة الزمن جدران حجرة الوزير ، فى هيئتهم الشبحية الرهيبة ، يتقدّمهم شبح زعيمهم ، الذى تألّقت عيناه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ آه .. وزير الدفاع الشجاع ، الذى أفسد خطتنا كلها ، فى محاولتنا الثانية ..

أطلق أركان الحرب أشعة مسدسه نحوه ، صارخًا :

ـ لن تمسوا شعرة من رأس الوزير ، إلا على جثتى ..

هزَّ شبح الزعيم كتفيه بلا مبالاة ، عندما تجاوزته أشعة الليزر ، دون أن تمسّه بسوء ، وقال :

ـ فليكن ..

ومع قوله ، رفع أحد رجاله فوهة سلاحه نحو أركان الحرب ، لتنطلق منها فقاعة صفراء قاتلة ..

وسقط ضابط أركان الحرب جثة هامدة ، عند قدمى وزير الدفاع ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أنتم أكثر حقارة ، من كل ما تصوَّرته ..

ارتسمت على وجوههم ابتسامات ساخرة شرسة ، فى حين أدار زعيمهم فوهة سلاحه إلى الوزير ، قائلاً :

ـ حقًّا ؟! أهذه آخر كلماتك ، كما سيسجلها تاريخ الحمقى ؟!

التقى حاجبا الوزير ، فى حزم صارم ، وشدَّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ـ كلاَّ .. لدى كلمة أخرى ..

ومع قوله ، رفع أحد رجاله فوهة سلاحه نحو أركان الحرب ، لتنطلق منها فقاعة صفراء قاتلة ..

ثم هتف بكل الحسم :

ـ تحيا (مصر) ..

ومع هتافه ، ضغط زعيم الأشباح زناد سلاحه ..

وانطلقت فقاعته الأرجوانية ..

وتألق المكان بوهجها الأرجوانى ..

الرهيب ..

* * *

شحب وجه (نشوى) ، وهى تتراجع فى مقعد سيارتها ، وتخفض منظارها الليلى ، مغمغمة فى مرارة :

ـ لقد سيطروا على وزارة الدفاع أيضًا ..

كانت الشمس قد بدأت تشرق فى الأفق بالفعل ، فتطلّع إليها (طارق) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ إنهم يتقدمون بسرعة مخيفة ، ولا أحد يمكنه التصدّى لأسلحتهم القوية المتطوّرة ، كما أن كيانهم الشبحى هذا يحول دون النيل منهم ، بأية وسيلة معروفة ..

تنهّدت (نشوى) فى توتر شديد ، وهى تلقى نظرة على الصغيرين ، النائمين فى الأريكة الخلفية للسيارة ، قائلة :

ـ من العجيب أنك أيضًا تجهل طبيعة أسلحتهم ..

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ إننى لم أرها فى حياتى قط ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ من الواضح أن عجلة التطوّر تدور أسرع مما نتوقّع دومًا ..

رفعت يدها إلى وجهها ، وتطلّعت إلى أظفارها لحظة ، قبل أن تقول فى حزم ، على الرغم من توترها :

ـ ربما كان هناك تفسير آخر ..

التفت إليها ، متسائلاً :

ـ مثل ماذا ؟!

تطلّعت إلى أظفارها بضع لحظات أخرى ، قبل أن تجيب بسؤال آخر :

ـ قل لى : كيف انتقل ابن السيّد (أمجد) إلى المستقبل ، وبقى ليتزعّم تلك المنظمة صهيونية النزعة هناك ، دون أن يختلّ توازنه الزمنى ، باعتباره ينتمى بيولوجيًا إلى زمن آخر ؟!

هزّ كتفيه ، وهو يجيب فى بطء ، على نحو يوحى بأن سؤالها قد مسّ نقطة ما فى عقله :

ـ ربما وجدوا فى المستقبل سبيلاً لـ ...

قاطعته فى حزم :

ـ لماذا لايمكنهم أن يستمروا فى البقاء فى زمننا إذن ؟!

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يسألها فى اهتمام :

ـ فيم تفكرين بالضبط ؟!

أشارت إلى الصغيرين ، فى الأريكة الخلفية ، قائلة :

ـ إننا نحتاج إلى مكان مأمون ، نترك فيه الصغيرين ؛ حتى نواصل قتالنا ، ومحاولتنا لإنقاذ مستقبل الأرض ..

لم يفهم العلاقة بين سؤاله وجوابها ، فتراجع فى حذر ، متمتمًا :

ـ ماذا يدور فى رأسك ؟!

أجابته وهى تدير محرك سيارتها :

ـ أسئلة .. عشرات الأسئلة ..

سألها ، وهى تنطلق بها :

ـ مثل ماذا ؟!

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تجيب فى حزم :

ـ هناك نظرية تعربد فى نظرى ، وترهق ذهنى بشدة ، وأريد أن أتأكّد من صحتها أو خطئها ..

سألها :

ـ أية نظرية تلك ؟!

رفعت سبّابتها ، مجيبة :

ـ نظرية التشابه ، بين الآباء والأبناء ..

مرة أخرى ، بدا له أنه لم يفهم أبدًا ما تعنيه ، فتساءل :

ما الذى تريدين قوله بالضبط يا سيِّدة (نشوى) ؟! ليست أميل كثيرًا للألغاز ..

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ ليست ألغازًا يا (طارق) .. إنها مجرَّد نظرية .. نظرية تحتاج إلى خبير ..

ثم أدارت عينيها إليه ، مستطردة فى حزم :

ـ أو خبيرة ..

ولم يفهم (طارق) ما تعنيه ، فى هذه المرة أيضًا ..

لم يفهم أبدًا ..

* * *

٥ ـ الأب .. والابن ..

لم يشعر عقل (نور) بالارتياح أبدًا ، مع هذه المعلومة الأخيرة ..

لم يقتنع عقله قط ، بأن ما يحيط بهم هو مستقبل الأرض ..

مستقبلها البعيد ..

جدًا ..

صحيح أن كل شىء كان يوحى بهذا ..

حتى مع وجود تلك الديناصورات ، أو (الكواركات) ، كما يطلقون عليها ، فى هذا الزمن ..

فكما قال ذلك المهيب ، لقد تم تخليقها ، بوساطة هندسة الجينات الوراثية ..

تمامًا مثلما فعلوا ، فى فيلم حديقة الديناصورات ..

ولكن تبقى عقبة واحدة ..

اللغة ..

فاللغة المستخدمة ، فى هذا الزمن ، لغة مختلفة تمامًا ..

مختلفة عن أية لغة معروفة ، فى تاريخ كوكب الأرض كله ..

وفى الوقت ذاته ، فهم يعتبرون لغتهم العربية لغة مجهولة ..

لغة أمة كاملة ..

لغة القرآن الكريم ..

لغة اللغات الحية ، يعتبرونها مجهولة !!

فما الذى يعنيه هذا ؟!

وسرت فى جسده قشعريرة كالثلج ، عندما توصلّ إلى الاحتمال الوحيد ، لتفسير هذا الأمر ، باعتبار أنهم بالفعل فى المستقبل البعيد ..

إن الحضارة التى تركوها خلفهم ، فى زمنهم ، قد فنيت ، وأبيدت عن آخرها ..

فنيت بعلومها ..

ومنجزاتها ..

وتطوراتها ..

وحتى لغاتها ..

فنيت ، لتولد حياة جديدة ..

وحضارة جديدة ..

ومن أعمق أعماقه ، انطلقت موجة رافضة ، متمردة ، عنيدة ..

موجة لا تستطيع استيعاب حدوث هذا ..

أبدًا ..

صحيح أنه ليس بالاحتمال المستحيل ..

إلا أنه يرفضه ..

وبشدة ..

« مهلاً .. » ..

انطلق هتافه فجأة ، بلهجة حملت كل ما يشتعل فى نفسه ، فاستدارت إليه العيون كلها ، فى تساؤل قلق ، عبَّر عنه المهيب ، بقوله :

ـ ماذا هناك ؟!

سأله (نور) ، فى شىء من الانفعال :

ـ كيف قمتم بتخليق تلك (الكواركات) ؟!

أجابه المهيب فى حيرة :

ـ قلت لك : إن هذا عن طريق هندسة الجينات الوراثية ..

سأله (نور) :

ـ كيف ؟!

صمت المهيب لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب ما يعنيه (نور) ، ثم لم يلبث أن أجاب ، بنفس الهدوء ، من خلال جهاز الترجمة الإليكترونى :

ـ لقد مزج العلماء جينات أحد الثدييات ضخمة الحجم ، مع جينات بعض الزواحف ، و ...

قاطعه (نور) بتنهيدة ارتياح قوية ، قبل أن تتألق على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. هذا ما تمنيت سماعه ..

بدا مزيج من الدهشة والحيرة ، على وجوه الجميع ، وتساءل (أكرم) فى توتر :

ـ ماذا تقصد بهذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم واضح :

ـ أقصد أن ما سمعتموه الآن يعنى أننا لسنا فى مستقبل الأرض البعيد ، كما كنا نتصوَّر ..

سألته خبيرة الصوتيات فى لهفة :

ـ أين نحن إذن ؟!

أدار (نور) عينيه إلى المهيب ، وهو يجيب فى حزم أكثر :

ـ فى الماضى ..

التقى حاجبا المهيب ، وهو يكرِّر فى دهشة حذرة :

ـ الماضى ؟!

اعتدل (نور) ، فى وقفة قوية ، وهو يجيب :

ـ نعم .. الماضى السحيق ..

واتسعت العيون كلها عن آخرها ، فأضاف بمنتهى الثقة والحزم :

ـ جدًا ..

وحان دور المهيب ، ليمتلئ كيانه كله بالدهشة .. حتى النخاع ..

* * *

ارتجف جسد الخبيرة البيولوجية (هناء حماد) ، وهى تهب من فراشها ، فى تلك الساعة المبكرة جدًا ، إثر رنين جرس باب منزلها ، وشملها توتر بلا حدود ، وهى تسرع إلى الباب ، مغمغمة :

ـ تُرى من القادم ، فى هذه الساعة المبكرة ؟!

امتلأت نفسها بدهشة قوية ، عندما تطلّعت إلى شاشة المراقبة الصغيرة ، المجاورة للباب ، ورأت عليها (نشوى)

و(طارق) ، وكل منهما يحمل أحد الصغيرين ، فهتفت ، عبر جهاز الاتصال المباشر :

ـ (نشوى) .. أية مفاجأة تلك ، التى ...

قاطعتها (نشوى) فى حزم :

ـ افتحى الباب أولاً يا (هناء) .. الأمر عاجل بحق ..

لم تكن لديها ذرة واحدة من الشك فى هذا ، مع قدوم (نشوى) على هذا النحو ، ولكن مصاحبتها لـ (طارق) ، الذى لم تره (هناء) من قبل ، أصابها بشىء من التوتر ، فمررت يدها على شعرها ، فى محاولة بدائية لتصفيفه ، وهى تفتح الباب ، مغمغمة :

ـ معذرة .. لقد استيقظت على رنين الجرس ، و ...

مرة أخرى ، قاطعتها (نشوى) ، قائلة :

ـ ألديك مكان للصغيرين ؟!

أشارت (هناء) بيدها ، وهى تجيب فى حذر :

ـ هناك حجرة الضيوف ..

اندفعت (نشوى) بصغيريها نحو الحجرة، التى أشارت إليها (هناء)، فى حين غمغم (طارق)، وهو يتبعها:

- معذرة يا سيِّدتى .. الوقت غير مناسب، ولكن ...

قاطعته هى هذه المرة، وهى تجاهد للابتسام:

- لا عليك .. لقد اعتدت هذا ..

أرقدا الصغيرين فى رفق، على ذلك الفراش الكبير، فى حجرة الضيوف قبل أن يعودا إليها مسرعين، و(نشوى) تقول:

- (هناء) .. ألديك هنا ما يكفى، لإجراء فحص جينى كامل ؟!

ارتفع حاجبا (هناء) فى دهشة، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة، وهى تستعيد ذكريات مخيفة، لمغامرة جمعتها مع فريق (نور)[*]، وهى تجيب، فى حذر متوتر:

- فحص جينى كامل ؟! ولماذا ؟!

(*) راجع قصة (الحرباء) ... المغامرة رقم (١٠١).

كررَت (نشوى) سؤالها فى عصبية:

- ألديك ما يكفى أم لا ؟!

نقلت الخبيرة البيولوجية بصرها بينهما، فى توتر شديد، قبل أن تقول:

- الفحص الجينى الكامل، مازال يحتاج إلى تجهيزات خاصة، وأجهزة متطوِّرة، و ...

كان من الواضح أن أعصاب (نشوى) مشدودة ومتوترة للغاية، عندما قاطعتها فى عصبية:

- إذن فنحن مضطرون للذهاب إلى معملك ..

انعقد حاجبا (هناء)، وهى تتطلَّع إليها فى دهشة قلقة، قبل أن تعتدل، قائلة فى حزم:

- كلا .. لسنا مضطرين إلى هذا ..

ثم اتجهت بخطوات حازمة قوية إلى حجرتها، واختفت داخلها، فغمغم (طارق) فى توتر:

- مازلت أجهل ما تسعين إليه ..

أجابته فى صرامة أدهشته :

ـ ستفهم كل شىء بعد قليل ..

عادت (هناء) من حجرتها ، وهى تحمل جهازًا أشبه بأجهزة الكمبيوتر النقَّالة ، وضعته إلى جوار الكمبيوتر ، قائلة ، فى لهجة حملت رنة زهو :

ـ هذه أحدث صيحة ، فى عالم الفحوص الجينية ، تم ابتكارها خصيصًا لرجال الطب الشرعى ، الذين تقتضى الظروف قيامهم بإجراء بعض الفحوص الجينية ، فى مسرح الجريمة ..

وراحت توصل الجهاز بالكمبيوتر ، مستطردة :

ـ بعد دقيقة واحدة ، سيصبح هذا الجهاز الصغير متصلاً بكل الأجهزة الكبيرة فى معملى ، وكل ما علىَّ هو أن أضع فيه العينة المطلوبة ، لتقوم أجهزة المعمل بتحليلها ، وإجراء الفحص الجينى الكامل عليها ، عن طريق موجات و ...

قاطعتها (نشوى) ، فى صرامة غير مألوفة :

ـ أعلم كل هذا ..

استدارت إليها (هناء) بنظرة مستنكرة ، فتابعت ، فى شىء من الخشونة :

ـ لقد شاركت فى وضع برنامجه ..

انعقد حاجبا (هناء) فى ضيق ، وهى تسألها بخشونة مماثلة :

ـ الاتصال تم .. كل ما نحتاج إليه الآن هو العينة المطلوب تحليلها ..

واعتدلت فى وقفة صارمة ، مضيفة :

ـ أين هى ؟!

رفعت (نشوى) سبابتها إليها ، قائلة :

ـ هنا ؟!

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، فى حين تساءلت (هناء) فى دهشة :

ـ هل سنجرى الفحص الجينى الكامل لك ؟!

هزَت (نشوى) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلاً ، ولكنك ستجدين عينة صغيرة للغاية ، تحت إظفرى هذا عينة حصلت عليها ، عندما خدشت أحدهم عمدًا ..

غمغم (طارق) فى انفعال :

ـ خدشت أحدهم عمدًا ؟! ومن أحدهم هذا ؟!

التفتت إليه فى عصبية ، مجيبة :

ـ زعيمهم ..

هتف بكل دهشته :

ـ ابن السيِّد (أمجد) ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ ربما ..

أصابه جوابها بحيرة بالغة ، جعلته يتطلَّع إليها فى توتر ، فى حين تطلَّعت (هناء) إليها لحظة ، ثم قالت فى حزم :

ـ أرينى سبَّابتك ..

استخدمت عدسة قوية ، مع ملقط دقيق ، لتلتقط تلك العينة الصغيرة جدًّا ، من تحت إظفر (نشوى) ، و(طارق) يتساءل :

ـ هل فعلت هذا ؛ حتى يمكنك إجراء الفحص الجينى له ؟!

غمغمت فى عصبية :

ـ لو نجونا ..

تألَّقت عيناه ببريق إعجاب ، وهو يقول :

ـ كم أشعر بالفخر ؛ لأننى ...

قطع كلماته بغتة ، فسألته فى حدة :

ـ لأنك ماذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لأننى قد عملت يومًا إلى جوارك ..

استدارت تتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، فى نفس اللحظة التى وضعت فيها (هناء) تلك العينة الصغيرة فى جهازها ، وضغطت أزرار عمله ..

كان جـواب السؤال المخيف ، الذى يعربد طوال الوقت فى رأسها ، يبدو واضحًا لها ، على نحو أصابها بالفزع ..

ولكنها لم تجرؤ أبدًا على الإفصاح به ...

أبدًا ..

« ما الذى تريدينه بالضبط ؟! » ..

ألقت (هناء) سؤالها ، لتنتزعها من أفكارها العصبية ، فالتفتت إليها ، قائلة :

ـ أريد فحصًا جينيًّا كاملاً ، مع مقارنة بالبصمة الجينية للسيِّد (أمجد) ..

سألتها (هناء) فى آلية عملية :

ـ (أمجد) من ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم متوتر :

ـ السيِّد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص ، بالسيد رئيس الجمهورية ..

كان جواب السؤال المخيف ، الذى يعربد طوال الوقت فى رأسها ، يبدو واضحًا لها ، على نحو أصابها بالفزع ..

التفتت إليها (هناء) ، قائلة فى دهشة :

ـ وكيف يمكننى الحصول على بصمة جينية له ؟! هذا يندرج تحت بند السرية المطلقة ، وفقًا للقوانين المعمول بها ، منذ عام ألفين وسبعة ..

اتجهت (نشوى) إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

ـ لو أن جهاز الكمبيوتر لديك مجهَّز ، للعمل على محورين ، فيمكننى أن أتولَّى هذا الأمر ..

أجابتها (هناء) ، فى تحد خفى :

ـ مرحبًا بك إذن ؛ فأنا أستخدم دومًا أحدث أجهزة الكمبيوتر وأفضلها ..

لم تبال (نشوى) بتعليقها ، والتقطت لوحة أزرار لاسلكية أخرى ، وراحت أصابعها تتقافز فوقها فى سرعة ، لتدخل إلى شبكة المعلومات الأمنية السرية ، الخاصة برياسة الجمهورية :

وقبل حتى أن تتم (هناء) فحصها الجينى للعينة الصغيرة ، كانت (نشوى) تتراجع ، قائلة :

ـ ها هى ذى البصمة الجينية للسيِّد (أمجد) ..

ضغطت (هناء) أزرار لوحتها ، قائلة :

ـ عظيم .. يمكننا إجراء عملية المقارنة والتوافق مباشرة ، بين جينات الأب والابن و ...

قاطعها فجأة أزيز قوى ، انطلق من جهازها ، فاتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدِّق فى شاشته الخاصة الصغيرة ، على نحو جعل (طارق) يسألها فى توتر ملحوظ :

ـ ماذا هناك ؟!

هتفت (هناء) :

ـ مستحيل !

سألها فى توتر أكثر :

ـ ما هو المستحيل ؟!

بدا صوتها شديد الانزعاج ، وهى تجيب :

ـ من المستحيل أن تكون هناك أدنى صلة ، بين البصمة الجينية للأب ، والأخرى للابن ..

تراجع (طارق) بحركة حادة، فى حين هتفت (نشوى) فى انفعال:

- إنه ليس ابن السيد (أمجد) .. أليس كذلك ؟!

حدَّقت (هناء) فى وجهها بذعر عجيب، وهى تجيب:

- ليس هذا فحسب ..

وارتجف صوتها بشدة، مع استطرادته:

- إن جيناته ليست بشرية أيضًا .. ليست كذلك على الإطلاق ..

واتسعت عينا (طارق) عن آخرهما، فى حين أطلقت (نشوى) شهقة قوية، بدا معها وكأن قلبها سيثب من حلقها ..

فالمفاجأة هذه المرة كانت عنيفة ..

عنيفة بحق ..

* * *

« انتصارنا ساحق فى هذا الزمن أيها الزعيم .. » ..

هتف أحد قراصنة الزمن بالعبارة، فى لهجة تفوح بالظفر، وهو يلوِّح بسلاحه الرهيب، قبل أن يطلق ضحكة وحشية مجلجلة، مضيفًا:

- هذه الأسلحة المدهشة، مع الأحزمة الشبحية، سحقت مقاومتهم سحقًا، وحادث غوَّاصتهم فى البداية، كان كفيلاً بتحطيم معنوياتهم تمامًا ..

تألَّقت عينا الزعيم، دون أن يُعلق بكلمة واحدة، فاندفع رجل ثان، يقول فى حماسة:

- الخطة كانت عبقرية بحق، والمركبات التى أتينا بها، مع قدراتها المذهلة، بالنسبة لهذا العصر، وضعتنا على طريق النصر، فى عشية وضحاها فحسب ..

هتف ثالث:

- وكل هذا بفضل عبقريتك أيها الزعيم .. لقد حققت لنا السيطرة الكاملة، على المستقبل كله ..

أجابه الزعيم، فى لهجة واثقة صارمة:

- ليس بعد ..

بدت الدهشة على وجوه الرجال ، وتبادلوا نظرة حائرة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى حذر :

ـ ألم نحقق كل ما سعينا إليه بالفعل ؟!

كرَّر الزعيم ، فى صرامة أكثر :

ـ ليس بعد ..

ثم واجههم جميعًا ، مستطردًا :

ـ ما زلنا مضطرين إلى العودة ، قبل أن يهزمنا الاختلال الزمنى ؛ لأننا لا ننتمى فعليًا إلى هذا الزمن ..

تبادلوا نظرة أكثر توترًا وحيرة ، قبل أن يقول آخر ، فى حذر أكثر :

ـ ربما ينطبق هذا علينا ، ولكنه لا ينطبق عليك أيها الزعيم ، فالمفترض أنك تنتمى فعليًا إلى هذا الزمن ..

اندفع ثالث يقول :

ـ ومازلنا نذكر جيدًا ، ذلك الجزء من الخطة ، فبعد أن تتحقق لنا السيطرة الكاملة على (مصر) ، فى هذا

الزمن ، ستقوم باستدعاء كل قيادات هذا الزمن ، من منظمتنا الصهيونية ، وتسلِّمهم زمام ومقاليد الأمور ؛ ليصبحوا الأسياد الفعليين ، خلال السنوات القادمة ، وحتى يأتى زمننا ، فنصبح ، كامتداد لهم ، سادة العالم ..

قال الزعيم فى صرامة :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة :

قال رجل رابع ، فى حيرة بلغت أوجها :

ـ ولكنك قلت ...

قاطعه الزعيم بصرخة هادرة :

ـ دعك مما قلت سابقًا ..

اتسعت عيونهم فى دهشة بالغة ، فتابع بكل الصرامة والوحشية :

ـ الموقف الفعلى صنع معطيات جديدة ، تختلف عن الافتراضات ، التى بنينا عليها خطتنا فى البداية ..

وعادت عيناه تتألقان على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ وهذا يجعل من المحتم أن نضع خطة جديدة ..

تبادلوا النظرات الصامتة المتوترة مرة أخرى، ثم غمغم أحدهم :

ـ نحن رهن إشارتك أيها الزعيم ..

شدّ الزعيم قامته فى حزم، وهو يقول فى صرامة شرسة :

ـ العالم ليس (مصر) وحدها ..

سأله أحد الرجال، فى حذر شديد :

ـ ماذا علينا أن نفعل إذن ؟!

لوّح بقبضته، هاتفًا :

ـ نفعل كل ما يمكننا، لتحويل سيطرتنا إلى العالم كله ..

هتف أحدهم :

ـ العالم كله ؟! ولكن الطاقة التى نستنزفها هنا، تجعل فترة بقائنا فى هذا الزمن محدودة، وغير مأمونة العواقب ..

قال آخر، فى عصبية واضحة :

ـ ووفقًا للتقدير العلمى، لا بد أن نعود إلى زمننا، قبل منتصف الليل، وإلا ...

قاطعه الزعيم، فى صرامة عجيبة :

ـ سنسيطر على العالم كله، قبل هذا التاريخ ..

هتف معظمهم، فى آن واحد :

ـ كيف ؟!

بدا لهم وكأنه قد ازداد قامة وضخامة، وهو يجيب :

ـ لدينا كل ما نحتاج إليه ..

قالها، ثم التقط كرة الاتصالات الخاصة من حزامه الشبحى، وقال :

ـ من الزعيم إلى وحدة الأقمار الصناعية .. حدد موقفك الآن ..

خاطبه رئيس المجموعة، التى تسيطر على وحدة الأقمار الصناعية ..

ـ تحققت لنا السيطرة الكاملة، على كل الأقمار الدفاعية ..

سأله فى صرامة :

ـ وماذا عن مدافعها الليزرية ؟!

أتاه الجواب بسرعة :

ـ تحت السيطرة التامة ..

تألَّقت عيناه، وهو يقول:

- عظيم ..

والتقط نفسًا عميقًا، وهو يقول بلهجة صارمة آمرة:

- ابدأ عملية إعادة البرمجة، لتوجيه مدفع الليزر نحو أهداف جديدة ..

تساءل رئيس المجموعة فى اهتمام:

- أية أهداف ؟!

صمت الزعيم لحظة، قبل أن يقول، بكل شراسة وصرامة الدنيا:

- كل وحدات الدفاع الفضائية، فى (مصر)، و(روسيا)، و(أوروبا)، و(أمريكا)، و(الصين) ..

وتفجَّرت دهشة عارمة، فى نفوس كل رجاله، بلا استثناء ..

فوفقًا لمعلوماتهم، كانت وحدات الدفاع الفضائية هذه مقامة، من أجل هدف واحد ..

صد أى غزو فضائى محتمل ..

فقط ..

لذا، فإن أحدهم لم يفهم أبدًا ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

ولا لماذا يهتمّ الزعيم بتدمير تلك الوحدات ؟!

إلا لو كان له هدف آخر ..

هدف يجهلون كل شىء عنه، منذ بدءوا مهمتهم هذه ..

هدف فضائى بعيد ..

بعيد ..

إلى أقصى حد ..

* * *

٦ ـ الثعبان ..

لدقيقة كاملة تقريبًا ، لم ينبس أحد الموجودين بحرف واحد ، وهم يحدقون فى وجه (نور) ، فى دهشة أقرب إلى الذهول ، قبل أن يقطع المهيب ذلك الصمت الثقيل ، وهو يقول ، عبر المترجم الإليكترونى :

ـ أى قول هذا يا رجل ؟! ما تقوله مستحيل تمامًا !

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل هو التفسير المنطقى الوحيد ..

هتف (أكرم) ، فى عصبية شديدة :

ـ كيف يا (نور) .. كيف يكون الماضى السحيق أكثر تطورًا من المستقبل ؟!

أجاب (نور) فى سرعة :

ـ لا يوجد مستحيل ، فى دورة الزمن يا صديقى ..

لقد رأيت بنفسى كيف كانت قارة (أطلانطس) فى ذروة تقدّمها ، قبل أن تجرى تجربة واحدة ، أفنت حضارتها كلها ، فى دقائق معدودة (*) ..

قال المهيب فى توتر :

ـ لا .. لا يمكننى أن أصدّق هذا ..

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ عندما وصلنا إلى هنا لأوّل مرة ، تصوّرنا أننا فى مستقبل الأرض البعيد ، ولكن اللغة المختلفة تمامًا ، جعلتنى أشعر بالقلق والحيرة ، فاللغات قد تتطوّر وتتغيّر بمرور الزمن ، ولكنها لا تفنى قط ، إلا بفناء الحضارات نفسها .. اللغة الهيروغليفية مثلاً ، اندثرت لفترة طويلة ، بعد احتلال الرومان لـ (مصر) ، واختلاط حضارتهم بالحضارة البيزنطية ، والإغريقية ، والقبطية ، والإسلامية ، ولكن

(*) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢) .

دورة العلم أرسلت من يعثر على حجر (رشيد)،[*] ليتم حل رموزها وتعود مرة أخرى إلى الوجود ..

هزَّ المهيب رأسه ، وهو يقول :

ـ ولكنك قلتها بنفسك .. ربما فنيت حضارتكم كلها لسبب ما ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ تبقى مشكلة (الكواركات) .. أو ما نطلق عليه فى زمننا اسم الديناصورات ..

قال المهيب ، فى شىء من الحدة هذه المرة :

ـ قلت لك : إنها مجردَّ حيوانات تخليقية ، لم يكن لها وجود فى الطبيعة من قبل ، بشكلها الحالى هذا ..

(★) حجر رشيد : حجر عثر عليه جندى فرنسى ، فى أثناء فترة الحملة الفرنسية على (مصر) ، (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) ، فى مدينة (رشيد) ، بمحافظة (البحيرة) حاليًا ، وكان العثور عليه بداية لفك رموز اللغة الهيروغليفية ، عن طريق الترجمة اليونانية ، المصاحبة للنص الهيروغليفى ، ولقد بذل الكثير من العلماء جهودهم فى هذا الشأن ، ونجح (شامبليون) الفرنسى فى حل رموز الهيروغليفية ، والحجر موجود الآن فى المتحف البريطانى .

هتف (نور) :

ـ بالضبط ، وهذا ما يحسم الأمر تمامًا ..

تبادل الرائد (هيثم) نظرة حائرة ، مع خبيرى الأشعة والصوتيات ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية زائدة :

ـ (نور) .. أهناك ما لا يمكننى استيعابه ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ كلا يا صديقى .. الأمر بسيط للغاية ، فما حدث هنا يختلف تمام الاختلاف ، عما فعلوه فى فيلم (حديقة الديناصورات) القديم .. فى الفيلم حصلوا على عينة من دماء الديناصورات ، من داخل البعوض ، المتجمدّ داخل الكهرمان ،[*] منذ ملايين السنين ، واستخدموا مادة (DNA) بداخلها ؛ لإعادة إنتاج حيوانات منقرضة ، يعثرون على هياكلها منذ زمن طويل ، أما هنا ، فى هذا الزمن ، فتلك الديناصورات لم يكن لها وجود فى الطبيعة ، وهم مزجوا المادة الوراثية لبعض الثدييات والزواحف لإنتاجها .. ألا يبدو الفارق واضحًا ؟!

(★) الكهرمان : صمغ أورانتج حفرى ، صلد ، ومصفر اللون ، تصنع منه بعض أدوات الزينة ، وحبات العقود ذات الثمن المرتفع .

انعقد حاجبا المهيب بشدة ، فى حين غمغم (أكرم) ، فى توتر شديد :

ـ ليس بالصورة الكافية ..

لوّح (نور) بذراعيه ، قائلاً فى حماسة :

ـ فكر فى الأمر جيدًا يا صديقى .. هم أنتجوا تلك الديناصورات الضخمة فى معاملهم ، باستخدام هندسة الجينات الوراثية ، فى حين عثرنا نحن على هياكلها ، واعتبرناها حيوانات منقرضة ، منذ ملايين السنين ، فمن منا سبق الآخر إذن ؟!

اتسعت عينا (أكرم) عن (آخرهما) وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح ..

انعقد حاجبا المهيب فى شدة أكثر ، وخبيرة الصوتيات تهتف :

ـ ولكن لو أنهم أنتجوا الديناصورات هنا ، من مزج

المادة الوراثية لمخلوقات مختلفة (*) ، فلماذا ينتجون بعض الأنواع الوحشية المفترسة ، مثل (التيرانوساورس) ؟!

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ طفرات وراثية يا سيّدتى .. أخطاء فى التكوين ، أو نتائج غير متوقّعة ، أنتجت أنواعًا غير مرغوب فيها .. هذا ما حدث لدينا أيضًا ، فى بدايات إنتاج المخلوقات المخلقة وراثيًا .. (**)

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ وهذا هو العقاب العادل ، لكل من يعبث فى خلق اللّه (سبحانه وتعالى) ..

قالها ، وصمت لحظة ، ثم استدار إلى المهيب ، قائلاً :

ـ أليس كذلك ؟!

(*) هذا ما يحدث الآن بالفعل ، فى بعض معامل الهندسة الجينية الوراثية ، حيث يتمّ مزج بعض جينات كائن ما ، بجينات كائن آخر ، لتخليق حالة ثالثة ، ولقد نجحت بعض المحاولات فى إنتاج حيوانات أو مخلوقات جديدة ، لم يكن لها وجود فى الطبيعة من قبل ، حتى إن بعض العلماء يسعى لتسجيل هذا الإنتاج الجديد ، كحقوق ملكية فكرية .

(**) حقيقة .

بدا لهم المهيب غارقًا فى شحوب عجيب ، اشترك مع ثوبه وشعره الأشيب ليجعله أشبه بتمثال من الرخام ، وهو يقف صامتًا جامدًا لبضع لحظات ، قبل أن تنفرج شفتاه فى صعوبة ، ويقول عبر المترجم الإليكترونى :

ـ قصة عسيرة التصديق ..

وبإشارة من يده ، تحرك حاملا الحقيبتين نحو (نور) ورفاقه ، فتراجعوا بحركة حذرة ، ولكن المهيب قال فى بطء شاحب :

ـ لا داعى للتوتر أو الشك .. إنها أجهزة ترجمة أكثر تطورًا ، لم نشأ استخدامها فى البداية ، قبل أن نتأكَّد من نجاح برنامج الترجمة الفورية هذا ..

فتح الرجلان الحقيبتين ، وقدما لكل شخص كرة صغيرة سوداء ، والمهيب يقول ، فى لهجة فقدت هدوءها ورصانتها :

ـ كل ما عليكم هو إلصاق تلك الكرة خلف آذانكم ، وسيتم كل شىء فى بساطة :

أطاعه كل منهم فى شىء من الحذر ، و(أكرم) يتساءل متوترًا :

ـ وما الداعى لهذا ؟! لقد كنا نتبادل الحديث جيدًا ..

أشار المهيب إلى سقف المكان ، مجيبًا فى شحوب :

ـ هنا كنا نستخدم جهازًا مثبتًا فى السقف ، ولكن فى الخارج ، لابد من استخدام تلك المترجمات الفورية المحدودة ..

سألته خبيرة الصوتيات فى لهفة :

ـ هل سنغادر هذا المكان ؟!

أجابها فى اقتضاب :

ـ نعم .. سنعود إلى قاعة العلماء ..

امتقع وجهها مع قوله هذا ، وتراجعت بحركة حادة ، وهى تتخيَّل نفسها مرة أخرى ، داخل ذلك القفص الزجاجى ، والعيون تتطلَّع إليها فى فضول ، فى حين هتف خبير الأشعة فى حدة :

ـ أعقابَ هذا ، على ما قاله المقدِّم (نور) ..

هتف المهيب فى دهشة :

ـ مطلقًا ؟ من أوحى إليكم بهذا ..

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى توتر :

- سنعود إلى القاعة ، لأنه من الضرورى أن يسمع العلماء نظرية قائدكم ، وأن تتم مناقشتها بمنتهى الدقة ..

سأله (نور) فى دهشة :

- قلت : إنها قصة عسيرة التصديق ..

أومأ المهيب برأسه إيجابًا ، وقال :

- هذا صحيح ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف فى مرارة :

- ولكنها أقنعتنى ..

وكان قوله هذا مفاجئًا للجميع ..

فهو يعنى حدوث تحوُّل كبير فى الأمر كله ..

تحوُّل خطير ..

وجذرى ..

★ ★ ★

بكل انفعال وتوتر الدنيا ، هتفت (نشوى) ، وهى تحدّق ذاهلة ، فى وجه الخبيرة البيولوجية (هناء) :

- إذن فذلك ، الذى يدّعى أنه ابن السيّد (أمجد) ، هو فى حقيقته مخلوق من عالم آخر ..

أجابتها (هناء) فى سرعة وتوتر :

- أنا لم أقل هذا ..

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول فى عصبية :

- قلت : إنه ليس بشريًا ..

هتفت (هناء) فى حدة :

- هذا لا يعنى أنه من عالم آخر ..

صاح بها :

- ما الذى يعنيه إذن ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، عبر حلقها الجاف ، قبل أن تجيب :

- الهيئة التى يبدو عليها ، تعود إلى أن جزءًا من مادته الوراثية ينتمى إلى طبيعة بشرية ، وإلى خلايا مأخوذة بالفعل ، من ابن السيِّد (أمجد) ، ولكن العجيب أنها ، وعلى الرغم من هيمنتها على شكله البشرى الخارجى ، لا تمثل إلا ثلاثين فى المائة من تركيبته الجينية بالفعل ..

سألتها (نشوى) فى توتر :

- وماذا عن السبعين فى المائة الأخرى ؟!

ازدردت الخبيرة البيولوجية لعابها ، فى صعوبة أكثر ، وهى تجيب ، بصوت ارتجف كل حرف من حروفه :

- ثعبان ..

اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، فى ذهول شديد ، فى حين هتف (طارق) :

- ماذا ؟!

أجابته (هناء) ، فى حدة عصبية :

- ثعبان .. ألم تسمع جيدًا ؟!

وانتقل ذهول (نشوى) إليه ، وهو يهتف :

- مستحيل !

هزَّت (هناء) رأسها فى قوة ، وهى تقول فى توتر :

- هذا ليس رأيًا شخصيًا .. إنها تحليلات الكمبيوتر ..

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يلتفت إلى (نشوى) ، ويتبادلان نظرة عصبية ، قبل أن تغمغم الأخيرة :

- كنت أتصوَّر أن هذا مستحيل ..

قالت (هناء) فى عصبية :

- كان مستحيلاً ، منذ بضع سنوات فحسب ، حتى ابتكروا عقار (أنتيجرافيكشن) ، الذى جعل من الممكن مزج أية مواد وراثية ببعضها ..

هتف (طارق) :

- إذن ، فنحن نواجه ثعبانًا ، فى هيئة بشرية ..

اومأت (هناء) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

- بالضبط ..

حدَّقت فيها (نشوى) بضع لحظات ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، مغمغمة فى توتر مذعور :

- ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

كان عقلها يعتصر كل خلية ، من خلايا مخها الرمادية ، فى محاولة لإيجاد خيط واحد ، يمكن أن يربط بين كل هذا ..

السفر عبر الزمن ..

السيطرة على (مصر) ..

نظم الأقمار الصناعية الدفاعية ..

المواد الوراثية ..

الثعابين ..

أمور بدت كلها عجيبة متناقضة ، على نحو لم يرتح له ذهنها قط ، فعادت تدير عينيها إلى (طارق) ، مرددة :

- لماذا ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو غارق بدوره ، فى لجة من الأفكار ، محاولاً مزج معارفه المستقبلية بهذه المعلومات الرهيبة ، و ...

« هذا المزج تم هنا على الأرجح .. » ..

رفع (طارق) و(نشوى) عيونهما إلى (هناء) ، التى نطقت العبارة الأخيرة ، فتنحنحت فى عصبية ، متابعة :

- هذا مجرد استنتاج علمى بالطبع ، باعتبار أن المواد الوراثية الممزوجة ببعضها ، تعود كلها إلى مصادر أرضية ..

أشارت (نشوى) بسبابتها ، قائلة :

- فليكن .. ولكن السؤال يبقى كما هو : لماذا ؟! لماذا يتم إنتاج مخلوق كهذا ، يجمع بين البشر والثعابين ؟!

تردَّدت (هناء) لحظة ، قبل أن تقول فى حذر :

- هناك عشرات الاحتمالات .. طفرة وراثية .. خطأ غير مقصود .. عبث علمى مجنون .. أو ...

توقَّفت عند هذه النقطة ، فأكمل (طارق) فى حزم :

ـ أو هدف بعيد المدى ..

سألته (نشوى) فى سرعة :

ـ فيم تفكَّر بالضبط ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ فى الربط بين (أرغوران) ، وإنتاج جيل من الثعابين ، ذات المظهر البشرى ، التى تدين له بالولاء ..

وشرد بصره ، وهو يضيف :

ـ فى محاولة للسيطرة على عالم بأكمله ، على المدى الطويل ..

اتسعت عينا (هناء) فى رعب ، وهى تحدِّق فى وجهه ، قبل أن تهتف ، بكل عصبية الدنيا :

ـ اسمع يا هذا .. لو أنك ..

قبل أن تتمَّ عبارتها ، انطلق أزيز مباغت ، من ساعة يد (نشوى) ، فهتفت مقاطعة (هناء) فى توتر ، وهى تلتفت إلى جهاز الكمبيوتر:

ـ مركز المتابعة السرى تلقَّى معلومة جديدة ..

جرت أصابعها فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر الخاص بـ (هناء) ، والتى قالت فى توتر :

ـ هل ستصلك المعلومات إلى هنا ؟!

أجابتها فى حزم :

ـ بل أنا التى سأصل إليها من هنا ..

مضت لحظات قصيرة ، تعلَّقت خلالها عيون ثلاثتهم بالشاشة ، قبل أن ترتسم عليها المعلومة الجديدة ، الخاصة بتصويب المدافع الليزرية القوية ، فى الأقمار الصناعية العسكرية ، نحو أكبر مراكز الدفاعات الفضائية فى العالم ..

وما إن قرأ الثلاثة الخبر ، حتى شهقت (نشوى) فى ارتياع ، وهتفت (هناء) فى رعب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (طارق) ، فقد عاد حاجباه ينعقدان بمنتهى الشدة ، وهو يعتدل فى موقفه ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ الآن فقط فهمت ، لماذا كان كل هذا ..

واستدارت الامرأتان إليه بكل الدهشة واللهفة ..

فما لديه، كان يحلّ لغزًا ضخمًا ..

لغز الهدف ..

هدف قراصنة الزمن ..

* * *

ارتسم ذعر واضح، فى عيون علماء ذلك الزمن البعيد، و(نور) يشرح لهم نظريته، عن موقع زمنهم من زمنه ..

ومع منطقه السليم، وأسلوبه المرتب المنمّق، وحديثه العلمى المدروس، كان من الطبيعى أن تستقبل العقول المتفتحة هذا الأمر بالاقتناع ..

والرعب ..

وبكل الارتياح، هتفت إحدى أفراد الفريق العلمى :

- ولكن هذا يعنى أن حضارتنا كلها ستفنى وتندثر يومًا ..

أجابها (نور) فى سرعة :

- لا أحد يعلم متى سيأتى ذلك اليوم، فهناك ملايين السنين تفصل زمننا عن زمنكم ..

غمغم عالم آخر فى مرارة :

- المهم أن حضارتنا ستفنى فى النهاية ..

تنهَّد (نور)، قائلاً :

- من يدرى ! ربما لستم أوَّل حضارة، يشهدها هذا الكوكب .. ربما كانت هناك قبلكم حضارات وحضارات، سادت الأرض يومًا، وتطوَّرت، وتقدَّمت، ثم أفنت نفسها بنفسها ؛ بسبب تقدَّمها الفائق للحد، أو أفنتها كارثة طبيعية رهيبة .. أو حتى سحقها غزو فضائى مجهول .. وربما كان هذا مصير حضارتنا أيضًا ذات يوم، بأحد تلك الأسباب نفسها .. من يدرى !

هَزّ المهيب رأسه، وقال فى أسى :

- حتى لو كانت هذه حقيقة مؤكَّدة، وحتى لو كان هذا سيحدث بعد ملايين السنين، فالمرء لا يملك سوى الحزن والأسى، وهو يتصوَّر أن كل ما سيفعله سيئول يومًا إلى الفناء ..

غمغم (أكرم) :

ـ هذا أمر طبيعى، فلا شىء يدوم إلى الأبد ..

وافقه المهيب بإيماءة من رأسه، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد ..

ثم تنهَّد فى عمق، قبل أن يقول فى اهتمام :

ـ فليكن .. لقد أقنعتنا يا سيِّد (نور) .. وعلى الرغم من كل ما توحى به الظواهر، نحن نعلم الآن أنكم من مستقبلنا .. أعنى من مستقبل الأرض .. مستقبلها البعيد ..

ومال نحو (نور)، مضيفًا :

ـ والآن، ما الذى يمكن أن يضيفه هذا إلى موقفكم ؟!

انعقد حاجبا (نور)، أمام السؤال الحاسم، وتطلَّع إلى المهيب لحظة، قبل أن يتساءل فى حذر :

ـ قل لى يا سيِّدى : المفترض، وفقًا لما نعرفه، عن قواعد السفر عبر الزمن، ألا تحتمل أجسادنا البقاء

طويلاً، فى زمن يخالف الزمن الذى تنتمى إليه، وعلى الرغم من هذا، فأنتم تؤكدون أننا هنا، منذ دورة قمرية كاملة، فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ (طارق) بقى معنا لبعض الوقت ..

التفت إليه (نور)، قائلاً فى حزم :

ـ (طارق) كان يستخدم تكنولوجيا أمنية خاصة، غير متاحة للمسافر الزمن العادى ..

ثم عاد يستدير إلى المهيب، وهو يكمل :

ـ فماذا عنكم ؟!

تبادل علماء ذلك الزمن نظرة صامتة، قبل أن تشخص أبصارهم إلى المهيب، الذى صمت لحظة، ثم أجاب فى حزم :

ـ نحن أيضًا نستخدم تكنولوجيا متقدِّمة، فى هذا الشأن ..

تساءل الرائد (هيثم) فى توتر :

ـ هل استخدمتموها معنا ؟!

صمت المهيب بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب ، فى بطء حذر :

ـ بالتأكيد ..

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ ولكن لماذا ؟! إنكم لم تكونوا حتى واثقين ، من أننا ...

قاطعها (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. السؤال الأكثر أهمية هو : لماذا يقوم علماؤكم بتطوير نظام خاص ، لإيقاف الخلل التوازنى الزمنى ؟! لماذا يبذلون الوقت والجهد والنفقات ، من أجل أمر كهذا ؟! التفسير المنطقى الوحيد هو أن لديكم تجارب بالفعل فى مجال السفر عبر الزمن ..

ومال نحوه ، مضيفًا فى حزم :

ـ أهذا صحيح ؟!

مرة أخرى ، تطلَّع العلماء كلهم فى صمت إلى المهيب ، الذى شاركهم صمتهم بضع لحظات ، وكأنما يدرس كل الاحتمالات ، التى يمكن أن يُسفر عنها تصريحه بالأمر ، ثم لم يلبث أن أجاب ، فى بطء عجيب :

ـ نعم ..

جاء جوابه أشبه بماء بارد منعش ، يسقط على جسد شخص يعانى الحرارة الشديدة ، فتألقت عيون الجميع ، وهتف خبير الأشعة :

ـ رباه ! هناك أمل إذن فى أن نعود إلى زمننا ..

ران صمت ثقيل على المكان ، إثر هتافه ، وبدا وكأن عبارته قد مسَّت شعرة شديدة الحساسية ، فى أعماق الكل ؛ فقد تطلَّعت كل العيون إلى (نور) ورفاقه ، فى صمت متوتر ، حتى تنحنح المهيب ، الذى يبدو من الواضح أنه أكبرهم منصبًا وسلطة ، وقال :

ـ للأسف .. هذا غير ممكن ..

شهقت خبيرة الصوتيات فى لوعة ، وانعقد حواجب (أكرم) ، والرائد (هيثم) فى توتر ، وارتجفت شفتا خبير الأشعة ، فى حين قال (نور) فى حدة :

ـ لماذا ؟! لا يمكن أن تكون لديكم كل هذه الاهتمامات ، الخاصة بدراسات علوم السفر عبر الزمن ، دون أن تكون لديكم آلة زمن واحدة على الأقل ..

صمت المهيب بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ المشكلة ليست فى آلة الزمن ، ولكن فيكم أنتم ..

قال (نور) فى عصبية :

ـ وما المشكلة فينا نحن ؟!

تراجع المهيب ، مجيبًا فى بطء :

ـ لدينا هنا آلة زمن واحدة ، تصلح لرحلة واحدة ، وتكفى راكبًا واحدًا فقط ، وتجهيزها لتلك الرحلة المنفردة ، يحتاج إلى دورة شمسية أرضية واحدة .. أو ما تطلقون عليه فى لغتكم اسم اليوم الواحد ..

ومال نحو (نور) ، مضيفًا فى أسف :

ـ وأجسادكم ، على الرغم مما فعلناه ، لن تحتمل الاختلال الزمنى ، لأكثر من هذا اليوم ..

واتسعت العيون كلها فى ارتياع ..

فالمعنى كان مخيفًا رهيبًا ..

وبشدة ..

* * *

٧ ـ الهدف ..

« ما الهدف يا (طارق) ؟! » ..

نطقت (نشوى) السؤال ، بكل لهفة الدنيا ، وهى تتطلَّع مع (هناء) إلى (طارق) ، الذى انعقد حاجباه على نحو زائد ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ إنه أمر يتعلَّق بعملية تطوير نظم الدفاعات الفضائية العالمية ، الذى ستشاركين فى إعداد برامجه ، بعد خمس سنوات تقريبًا من الآن ..

نقلت (هناء) بصرها بينهما فى ذهول ، قبل أن تهتف فى عصبية :

ـ بعد خمس سنوات تقريبًا ؟! أى قول عجيب هذا ؟!

أشارت (نشوى) بيدها ، وهى تقول فى نفاد صبر :

ـ (طارق) من المستقبل ، ويعلم الكثير عما سيحدث ، خلال عدة سنوات قادمة ..

حدَّقت (هناء) فى (طارق) بذهول ، قبل أن تهتف :

ـ من المستقبل ..

تجاهلتها (نشوى) تمامًا ، وهى تسأل (طارق) فى لهفة :

ـ ماذا سيحدث لنظم الدفاعات الفضائية فى المستقبل يا (طارق) ؟!

هتفت (هناء) :

ـ تتحدثان كما لو أنه من الطبيعى أن ألتقى بشخص من المستقبل ..

صاحت بها (نشوى) فى عصبية :

ـ لو واصلت مقاطعتنا على هذا النحو ، لن يكون هناك أى مستقبل ..

احتقن وجه (هناء) فى غضب ، ولكنها أطبقت شفتيها فى عصبية ، فى حين أجاب (طارق) سؤال (نشوى) ، قائلاً :

ـ بعد خمس سنوات تقريبًا ، وبعد حدوث طفرة جبارة ،

فى نظم ووسائل الدفاعات الفضائية ، ستظهر فكرة جديدة ، لربط كل النظم الدفاعية الفضائية ببعضها ، عن طريق شبكة معلومات تحليلية ذكية ، بحيث تصنع فيما بينها غلافًا واقيًا للأرض ، يستحيل أن يخترقه أى شىء ، باستثناء أشعة الشمس والأشعة الكونية الطبيعية ، دون أن يتمّ رصده ، وتحليله ، وتدميره تمامًا ، فى خلال ثوان معدودة ..

هتفت (نشوى) :

- يا إلهى ! أهذا ممكن حقًّا ؟!

أجابها فى حزم :

- سيصبح ممكنًا فى المستقبل ، وستنجح الفكرة نجاحًا مذهلاً ، بحيث يصبح كوكب الأرض منطقة منيعة ، غير قابلة للإصابة أو الغزو ، من قبل أية قوة أخرى فى الكون ، إلا بمشيئة اللّه (عزّ وجلّ) بالطبع ..

غمغمت الاثنتان فى آن واحد :

- ونعم باللّه ..

شَدّ قامته ، وبدا صلبًا صارمًا ، وهو يقول :

- ومن الواضح أن الهدف الوحيد والأساسى ، لغزاة الزمن هؤلاء ، هو منع حدوث هذا ، وبأى ثمن ..

هتفت (هناء) :

- ولكن لماذا ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم :

- لأنه هناك غزو قادم بالتأكيد .. غزو فشل فى احتلال الأرض ، بسبب غلافها الدفاعى المنيع ، فأعدّ خطة كبيرة ، لعبور مجرى الزمن عكسيًّا ، ومنع تكوين ذلك الغلاف الدفاعى من الأساس ..

أمَّن (طارق) على قولها ، قائلاً بحزم مماثل :

- بالضبط ..

هتفت فى انفعال :

- لابد إذن أن نمنع تدمير النظم الدفاعية الفضائية العالمية .. وبأى ثمن ..

عاد حاجباه يلتقيان فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. بأى ثمن ..

بدا من الواضح أنه قد غرق فى تفكير شارد لبضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم شديد :

ـ سيِّدة (نشوى) .. هل يمكنك اختراق شبكة معلومات وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى حذر :

ـ يمكننى هذا بالتأكيد ، ولكن شبكة المعلومات هناك قوية للغاية ، ومؤمَّنة ضد كل محاولات الاختراق الخارجية ، للحفاظ على أمن وخطورة المكان ، وإذا ما تمت أية محاولة لاختراقها ، فهى تتعقَّب مصدرها ، بسرعة تبلغ مائتى جيجا بايت ، فى الثانية الواحدة ، وتنسف مصدر الاختراق بموجة خاصة مباشرة ..

سألها ، فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا عن نظم أمن المبنى نفسه ؟!

فكَّرت لحظة ، ثم لم تلبث أن هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ يمكننى اختراقها ، وإيقافها لمدة محدودة للغاية ..

سألها بسرعة :

ـ كم تقريبًا ؟!

أجابته بمنتهى الحذر :

ـ بالأجهزة المتاحة ، لن يزيد هذا عن ثلاثين ثانية ..

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول :

ـ إنها تكفى ..

ثم مدّ يده إليها ، مستطردًا فى حزم :

ـ هل لى فى مفاتيح سيارتك ؟!

ناولته المفاتيح ، وهى تسأله فى قلق :

ـ ما الذى تنوى فعله بالضبط ؟!

أجاب فى صرامة :

ـ سأوقف عملية تدمير المستقبل .. بأى ثمن ..

هوى قلبها بين قدميها ، وهو يندفع نحو الباب ، مضيفًا :

ـ عندما تبلغك إشارتى ، أوقفى نظم تأمين مبنى وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية فورًا ..

هتفت به :

ـ ماذا ستفعل ؟!

لم يسمع عبارتها ، وهو يندفع خارج المكان ، ويغلق الباب خلفه ، فتساءلت (هناء) فى توتر :

ـ ما الذى ينوى هذا المستقبلى فعله ؟!

هزّت (نشوى) رأسها ، وهى تجيب بصوت مرتجف :

ـ لست أدرى ..

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى توتر بالغ :

ـ ولكننى أشعر بالقلق .. القلق بلا حدود ..

وكم كانت مشاعرها صادقة حينئذ ..

ولو أنها أدركت ، ما الذى قرّر (طارق) أن يفعله ، لتضاعف قلقها ألف مرة ومرة ..

أو ربما أكثر ..

بكثير ..

★ ★ ★

احباط ويأس شديدان ، أصابا (نور) ورفاقه ، عند سماعهم ما قاله ذلك المهيب ، بشأن انهيار أجسادهم الوشيك ..

ولدقيقة أو يزيد ، هبط عليهم صمت رهيب ، قبل أن تغمغم خبيرة الصوتيات ، بكل حزن ومرارة الدنيا :

ـ كنت أعلم أن النجاة من هذا الموقف مستحيلة ..

أما خبير الأشعة ، فقد انهار على أقرب مقعد إليه ، ودفن وجهه فى كفيه ، قائلاً :

ـ وأنا الذى كنت أخشى أن نبقى فى هذا الزمن إلى الأبد ..

هتف به (أكرم) فى صرامة :

ـ تماسك يا رجل .. لو أن الموت آت لا ريب ، فلتمت كالرجال ..

زفر خبير الأشعة فى مرارة ، قائلاً :

ـ كل الكائنات الحية تموت يا رجل ، ولا فارق لدى

الموت ، بين الأقوياء والضعفاء .. إنه المساواة الحتمية الوحيدة ، بين كل مخلوقات الكون ، مهما اختلفت أنواعها وأشكالها ..

وفى صمت ، تابع الرائد (هيثم) الحديث ، دون تعليق واحد ، فى حين التقى حاجبا (نور) عن آخرهما ، وهو يدرس الموقف كله ، والمهيب يقول :

ـ لم نكن نرغب فى إخباركم بهذا ، باعتبار أنه لاتوجد لدينا أية وسيلة لمنع هذا الانهيار الزمنى ، ولكن الحديث عن آلة الزمن ، هو الذى اضطرنا إلى هذا .. تقبّلوا اعتذارنا ..

قال (نور) فى خفوت :

ـ كان من الضرورى أن نعلم ..

غمغم أحد العلماء :

ـ الأمر لم يكن لينجح ، على أية حال ، فآلتنا ، التى كلفتنا عامًا كاملاً ، من الدراسات والجهد والمال ، ليست لديها سوى فرصة لرحلة واحدة ، ونحن لانعلم حتى أين موقع زمننا منكم بالتحديد ، ولا متى ينبغى أن تتوقّف

الرحلة ، ليصل أحدكم على الأقل إلى زمنه سالمًا ، ولو أننا نعلم هذا ، لما تردّدنا لحظة واحدة ، فى منحكم آلة زمننا هذه ..

سأله (نور) فجأة :

ـ ولكن لو أن آلتكم مجهّزة لرحلة واحدة فقط ، فما الذى كنتم تتوقعونه منها ؟!

أشار المهيب بيده ، مجيبًا :

ـ كل ما أردناه منها هو أن ترسل رسالة منا ، إلى أى زمن مستقبلى ، يمتلك القدرة على فهمها .. رسالة تقول : إننا كنا هنا ذات يوم ..

بدا الاهتمام فى صوت (نور) ، وهو يسأل :

ـ وكيف كان لها أن تعرف متى تتوقّف ؟!

أجابه عالم آخر :

ـ آلتنا لا تنطلق عبر الزمن فحسب ، ولكنها مزوّدة أيضًا براصد زمنى ، له سعة هائلة ، بحيث يمكنها ، فى أثناء رحلتها عبر نهر الزمن ، أن تسجّل كل ما تمرّ به ، وتختزنه ،

وتقوم بتحليله أوّلاً فأوّلاً ، فإذا ما توافقت المعلومات على البرنامج المسجّل لديها ، توقّفت رحلتها تمامًا ..

تساءل (أكرم) فى انبهار :

ـ أهناك آلة يمكنها هذا ؟!

أجابه المهيب :

ـ بالتأكيد .. إنها ثمرة دورات شمسية كاملة من العمل ..

التقى حاجبا (نور) وهو يغرق فى تفكير عميق ، و(أكرم) يتساءل :

ـ وماذا لو ..

أمسك الرائد (هيثم) يده فجأة ؛ ليقاطعه هامسًا :

ـ سيادة المقدّم (نور) يفكّر ..

استدار (أكرم) إلى (نور) بحركة حادة ، ملؤها اللهفة والاهتمام ، وكذلك فعل الباقون ، مما أثار اهتمام المهيب وفريق علمائه ، وغمغم أحدهم فى فضول :

ـ يبدو أنه عقلهم المدبّر ..

غمغم المهيب :

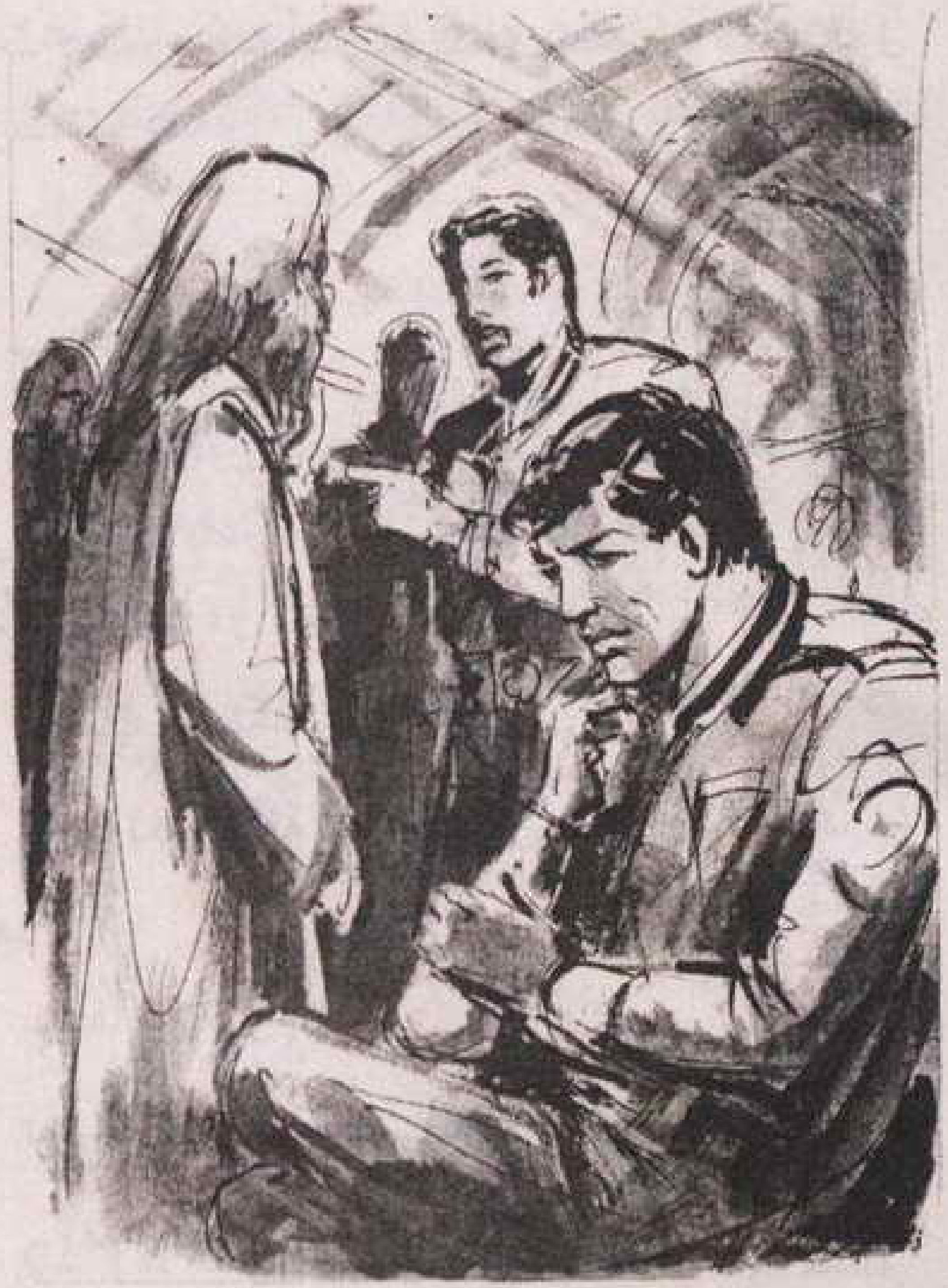

اجابه المهيب :

ـ بالتأكيد .. إنها ثمرة دورات شمسية كاملة من العمل ..

ـ لا تنس أنه أكثرهم ذكاءً وحكمة ، كما تقول دراساتكم عنه ..

غمغم العالم :

ـ هذا صحيح ..

لم يسمع (نور) حرفًا واحدًا مما قيل عنه ؛ فقد غرق فى لجة من الأفكار ، استولت على عقله كله ،وهو يدرس الأمر ويحلّله ، و ...

« هناك وسيلة للنجاة .. » ..

نطقها بحزم وثقة ليس لهما من مثيل ، فهتف (أكرم) فى لهفة :

ـ حقًّا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) بمنتهى الحسم :

ـ نعم .. حقًّا يا (أكرم) ..

ثم التفت إلى المهيب ، يسأله :

ـ ألا يمكن أن نتعاون جميعًا ؛ لضغط زمن الاستعداد للرحلة الوحيدة عبر الزمن ، إلى ما يقلّ عن اليوم الواحد ؟

سأله المهيب :

ـ وبم سيفيد هذا ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ سنرسل آلة زمنكم فى رحلتها ..

قال المهيب ، محاولاً توضيح الصورة :

ـ قلت لك : إن الآلة تتسع لرجل واحد ، و ...

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ وذلك الراكب الواحد مستعد ..

هتف المهيب :

ـ أنت ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نعم .. أنا .. أنا الملاح ، الذى سيقود الآلة ، عبر نهر الزمن ، إلى هدفها الأوحد والأخير ..

تساءل أحد العلماء ، بكل دهشة زمنه :

- هل ستتخلّى عن رجالك ، لتنقذ حياتك وحدك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- على العكس يا سيّدى .. إننى أجازف بحياتى وحدى ، كأمل أخير لإنقاذ الجميع ..

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، و(أكرم) يهتف مستنكرًا :

- وكيف هذا ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- ارجع بذهنك إلى السبب الرئيسى ، لوصولنا إلى ما نحن فيه الآن .. إنهم هؤلاء المستقبليون ، الذين اخترقوا حاجز الزمن ، إلى ما نطلق عليه اسم حاضرنا ، وأفسدوا كل الأمور ، وأرسلونا إلى ذلك الفراغ الزمنى ، مع عشرات غيرنا ولا شك ، مما انتهى بنا إلى هذا الزمن ، الذى عثرنا فيه ، لحسن حظنا ، على آلة زمنية ، يمكنها القيام برحلة واحدة ، حاملة راكبًا واحدًا .. ولو أننا أحسنا

استخدام تلك الآلة الزمنية ، بحيث وصلنا إلى منطقة هبوط قراصنة الزمن ، ونسفنا بوّابتهم الزمنية إلينا ، فسنفسد خطتهم ، ونمنع وصولهم إلى زمننا ، أو نبيدهم فور الوصول إليه ، وقبل أن ينفذوا عملية الغوّاصة (ب.ن - ١٠٣) ..

سأله (أكرم) فى توتر :

- وما الذى سيفعله هذا ؟!

اندفعت خبيرة الصوتيات تجيب :

- منعهم من الوصول إلى زمننا ، سيغيّر مجرى الأحداث كلها ، فلا يعود هناك مستقبليون ، ولا يحدث ما يرسلنا إلى الفراغ الزمنى ، وبالتالى لن نواجه هذا الموقف الرهيب ..

هتف بها (أكرم) فى عصبية :

- ولن نعثر على الآلة الزمنية بالتالى ، ولن نرسلها إلى زمننا ، مما يمنع تغيير الأحداث بالتالى ..

غمغم الرائد (هيثم) :

ـ أمر معقَّد .. لن يمكنني أبدًا فهم فلسفة السفر عبر الزمن هذه ..

قال (نور) فى حسم :

ـ كثيرون عجزوا عن فهمها ، ولكن هذا لم يمنع قراصنة الزمن من الخوض فيه ، والسعى لتغيير التاريخ ..

قالت خبيرة الصوتيات فى توتر :

ـ الأمر يبدو مثاليًا ، وفقًا لطريقة تحليلك له أيها المقدَّم ، فلو نسفت أولئك القراصنة ، فور وصولهم إلى زمننا ، لن يحدث كل ما أعقب هذا ..

هتف خبير الأشعة فى حماسة :

ـ بل إننا ندرك عندئذ ما حدث ..

أجابته خبيرة الصوتيات فى حزم :

ـ من الناحية النظرية فحسب ، ولكن خطة سيادة المقدَّم بها ثغرة كبيرة ..

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابه المهيب هذه المرة :

ـ إن زمن وصول أولئك الذين تتحدَّث عنهم ، هو زمن تواجدت أنت فيه بالفعل ، ووفقًا لكل النظريات الزمنية المؤكَّدة ، من المستحيل أن تتواجد مرتين فى زمن واحد ..

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن خطتى تعتمد على أداء دقيق للغاية ، بحيث لن أتواجد فعليًا مرتين ، فى زمن واحد ..

سأله المهيب :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لو أمكننا ضبط لحظة تجسُّد آلة الزمن ، بحيث تتوافق بمنتهى الدقة ، مع لحظة وصول أولئك القراصنة إلى زمننا ، وزوَّدناها بقنبلة نووية محدودة ، أو أية وسيلة تدميرية قوية نظيفة فى زمنكم ، فالأمر سيتم فى جزء من الثانية ..

قال المهيب :

- جزء من الثانية يكفى ، ليفنى كيانك كله ، عبر الزمان والمكان ، عندما تتواجد على نحو مزدوج ، فى زمن واحد ..

شَدّ (نور) قامته فى اعتداد ، قائلاً :

- لن أتردّد لحظة ، فى التضحية بحياتى نفسها ، فى سبيل عالمى وزمنى ، ومستقبل من أحب ..

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قالت خبيرة الصوتيات فى توتر :

- ليست هذه هى الثغرة ، التى كنت أقصدها ..

التفت إليها الجميع ، فى اهتمام متسائل ، فتابعت :

- ما كنت أقصده ، هو أننا لا نعرف المسافة ، التى تفصل زمننا عن هذا الزمن ، فكيف سنحدّد النقطة ، التى ستتوقّف عندها آلة الزمن ، لتنسف أولئك القراصنة ، فور عبورهم لحاجز الزمن ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- لقد وجدت حلاً لهذا ..

بدا الاهتمام على وجوه الجميع ، حتى علماء ذلك الزمن ومهيبهم ، وكلهم ينتبهون إلى (نور) ، الذى تابع :

- آلة الزمن ترصد ، خلال رحلتها الطويلة ، كل المتغيرات التى تمَرّ بها ، وتسجلها ، وتقوم بتحليلها ، وفى زمننا علامات خاصة ، لايمكن تكرارها مرتين ، مثل أوّل بث إذاعى ، والذى درسنا توقيته بالضبط ، باليوم والساعة والدقيقة والثانية ، فى كتب العلوم فى شبابنا .. ونحن نعرف المسافة التى تفصلنا عن ذلك البث الأوّل ، والفترة الزمنية بينه ، وبين حادثة الغوّاصة (ب.ن ـ ١٠٣) فى زمننا ، كما نعرف موقع عبور حاجز الزمن ، الذى حدّدته (سلوى) ، من الموضع الذى تولد عنده بقع الضوء ، فى أعماق البحر الأبيض المتوسّط ، فإذا مازوّدنا آلة الزمن هنا بكل هذه المعلومات ، وغذيناها ببرنامج يحوى كل نظم حساب الوقت فى عالمنا ، وهو برنامج موجود بالفعل فى ساعة يدى ، فيمكن للآلة أن تعبر ملايين السنين ، حتى ترصد أوّل بث إذاعى ، فى المستقبل البعيد لهذا الزمن ، لتبدأ من عنده عملية الحساب ، وتواصل رحلتها ، عبر الزمان والمكان ، إلى

منطقة الهبوط ، فى أعماق البحر الأبيض المتوسط ، على أن تقوم ببرمجتها ، بحيث ترصد عملية عبور حاجز الزمن ، وتتجه إليها ، لتنفجر وسط أولئك القراصنة ، وينتهى كل شىء ..

انتهى من شرح فكرته ، فران على المكان كله صمت مهيب ، والكل يتطلّع إليه مباشرة ، قبل أن يهتف أحد العلماء فجأة فى انبهار :

- هذا الشاب عبقرى ..

انطلقت من أعمق أعماق خبيرة الصوتيات تنهيدة قوية ، وهى تهتف :

- حمدًا لله ..

وهتف خبير الأشعة :

- كنت أعلم أنك ستفعلها يا سيادة المقدّم .. كنت أعلم أنك ستفعلها ..

وبابتسامة إعجاب وانبهار ، تمتم الرائد (هيثم) :

- من الواضح أن ما كنا نسمعه عنك ، يقل كثيرًا عن حقيقتك يا سيادة المقدّم ..

أما (أكرم) ، فلم ينبس ببنت شفة ..

فقط ازداد حاجباه انعقادًا ، وعقله يحمل فكرة خطيرة ..

فكرة لا يمكن أن تخطر ببال أحد من المحيطين به ..

أبدًا ..

* * *

لم يحتج الأمر لأكثر من دقيقة واحدة ؛ ليعدّ (طارق) سيارة (نشوى) ، للهدف الذى يستخدمها من أجله ..

فمن حزام أسلحته ، أخرج أسطوانة صغيرة ، ثبتها فى إحكام ، فى مقدّمة السيارة ، قبل أن يجلس خلف عجلة القيادة ، ويدير المحرّك ، وينطلق إلى الهدف ..

إلى وحدة التحكّم الرئيسية ، فى الأقمار العسكرية الصناعية ..

وعبر جهاز اتصال محدود ، بينه وبين (نشوى) ، قال فى حزم :

- هل نجحت فى اختراق شبكة الأمن ؟!

أتاه صوتها شديد التوتر ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهى تقول :

- هذا ليس بالأمر الصعب .. إننى داخلها بالفعل ، وكل ما يحتاج إليه الأمر هو ضغطة زر ، ليتوقَّف نظامها كله ، لمدة ثلاثين ثانية ، ولكن أخبرنى باللّه عليك ، ما الذى تنوى أن تفعله ؟!

أجابها فى حزم صارم :

- أن أؤدّى واجبى ..

هتفت :

- كيف ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو ينطلق بالسيارة ، وحاجباه ينعقدان بشدة ..

« مستقبل الأرض كله بين يديك يا (طارق) .. » ..

تردَّدت العبارة فى أعماقه ، فسرى الانفعال فى كل ذرة من كيانه ، وهو ينطلق نحو هدفه ، بمنتهى الحزم والحسم ..

لقد استخدم آخر وأقوى سلاح فى جعبته ..

قنبلة (دلتا) ..

قنبلة شديدة الانفجار ، تكفى لنسف وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية العسكرية ، وسحقها سحقًا ، بكل ما فيها .. ومن فيها ..

بهذا فقط يمكنه منع ما سيحدث ..

بهذا فقط يمكنه إنقاذ حاضر الأرض ..

ومستقبلها ..

وحريتها ..

« أخبرنى يا (طارق) باللّه عليك .. » ..

انبعث هتاف (نشوى) ، من جهاز الاتصال المحدود ، حاملاً كل لوعتها ورعبها .. وانهيارها أيضًا ..

صحيح أنه لم يخبرها بما ينتوى ..

ولكنها فهمت ..

إنه سيفعل نفس ما فعلته هى ؛ لتنقذ الأرض كلها يومًا ، من احتلال بغيض .. (*)

سيضحى بحياته ..

تمامًا كما كانت ستفعل هى ، لو أنها فى موضعه ..

ولكنها لا تستطيع احتمال هذا أبدًا ..

وخاصة بعد أن أدركت من هو ..

من يكون ..

وكيف ينتمى إليها ..

بشدة ..

وبكل ما يتمزَّق فى أعماقها ، صرخت :

ـ لاتفعل هذا يا (طارق) .. أرجوك ..

وتفجَّرت دموعها كالسيل ، وهى تضيف :

ـ لن أحتمل هذا أبدًا ..

(★) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

لاحت له الوحدة ، على مدى البصر ، فهتف بها :

ـ الآن يا سيِّدة (نشوى) .. الآن ..

صاحت :

ـ لا .. لن أضغط هذا الزر أبدًا .. لن أفعلها ..

زاد من سرعة السيارة ، وهو يصرخ :

ـ إننى أنطلق نحو الهدف ، ولن أتوقَّف لحظة واحدة ، سواء ضغطت ذلك الزر أم لا .. الفارق الوحيد هو أن النظم الدفاعية ستعمل ، فور دخولى إلى مجالها ، وستسحق السيارة سحقًّا .. الفارق الوحيد هو أننى سأموت بلا طائل ، ودون أن أفعل بموتى شيئًا لك .. أو للعالم كله ..

استعادت موقفًا مماثلاً ، وهى تضحى بنفسها ، لتمحو آخر قوة للغزاة ، وصوت أمها وهى تصرخ ، وتناشدها ألا تفعل ، فانهارت قائلة :

ـ لا .. لا يمكننى أن أفعل هذا ..

صرخ ، وهو ينطلق بالسيارة نحو الوحدة كالصاروخ :

- اضغطى الزر باللّه عليك .. مستقبل العالم كله يتوقّف على ضغطة زر واحدة ..

صرخت بدورها :

- لا .. لا أستطيع ..

لم يكن بإمكانها حقًّا أن تفعل ..

كان من المستحيل نفسيًا أن تضغط زرًا ، يتيح له هو بالذات ، أن ينسف نفسه نسفًا ..

حتى ولو كان فى هذا إنقاذ الأرض ..

أو حتى الكون كله ..

هذا مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

وعند وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية العسكرية ، رصدت وسائل الأمن الدفاعية تلك السيارة ، التى تنطلق نحو المبنى كالصاروخ ..

وبرزت مدافع الليزر ..

وصوبّت إلى الهدف بدقة ..

« اضغطى الزر باللّه عليك .. افعليها من أجل مستقبل الأرض .. » ..

صرخ بكل كيانه ، وهو يواصل الانطلاق نحو المبنى ..

واستعدت مدافع الليزر للعمل ..

وصرخت (نشوى) ، فى انهيار تام :

- لا أستطيع .. لا أستطيع ..

ولكن (هناء) فقدت أعصابها تمامًا ، عند هذه النقطة ، ووثبت نحو الكمبيوتر ، وهى تصرخ :

- أنا سأفعلها ..

صرخت (نشوى) ، بكل انهيار الدنيا :

- لا .. لا تفعلى ..

ولكن (هناء) ضغطت الزر ..

وتوقَّفت وسائل الأمن الدفاعية ..

واندفع (طارق) بالسيارة نحو المبنى ..

واخترق بوَّابته ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل رهيب ، سحق المبنى كله ..

وسحق معه قلب (نشوى) ..

بلا رحمة ..

* * *

٨ - الختام ..

بدا ذلك المكان ، فى الزمن البعيد ، أشبه بخلية نحل ، وجيش من العلماء يعمل ، بمنتهى الهمة والنشاط ، بمعاونة خبيرة الصوتيات وخبير الأشعة ، فى فريق الرائد (هيثم) ؛ لإعداد آلة الزمن ، التى بدت أشبه بكرة زجاجية هائلة ، للانطلاق فى رحلتها الواحدة ، فى أقصر وقت ممكن ..

وفى إرهاق ، هزَّ الرائد (هيثم) رأسه ، قائلاً :

- على الرغم من كل ما يحيط بنا ، ومما أصابنا حتى الآن ، ولكننى أعتبر أننا محظوظون ..

رمقه (أكرم) بنظرة جانبية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع :

- لقد وجدنا من يخرجنا من الفراغ الزمنى ، ووصلنا إلى زمن متقدِّم وعثرنا على آلة زمن صالحة للعمل .. والأهم من هذا كله ، هو أن هؤلاء القوم هنا متعاونون ، إلى أقصى حد ممكن ..

غمغم (أكرم) :

ـ هذا صحيح ..

أكمل (هيثم) فى ارتياح :

ـ هل تصدق أنهم يضحون بجهد ضخم ، وبآلة الزمن الوحيدة لديهم ؛ لإنقاذ زمن ، يعلمون جيدًا أنهم لن يروه قط .. لا هم ، وحتى أحفاد أحفاد أحفاد أحفادهم ؟! ليس من السهل أبدًا أن تجد من يفعل الصواب ، دون انتظار أجر ..

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يتابع ما يحدث ، قبل أن يضيف :

ـ وكلهم هنا على هذا المنوال ..

تمتم (أكرم) ، فى شىء من الشرود :

ـ لقد التقينا بفئة واحدة منهم فحسب ..

ابتسم الرائد (هيثم) ، وهو يقول :

ـ إنها تكفينا .. المهم أن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وامتقع وجهه بشدة ، واتسعت عيناه على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يهتف به :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟!

دارت عينا الرائد (هيثم) فى محجريهما ، وارتجفت كلماته ، وهو يهتف فى ضعف :

ـ يا إلهى ! التوازن الزمنى .. لقد .. لقد ..

انهار فجأة ، بين ذراعى (أكرم) ، الذى هتف فى ذعر :

ـ ماذا أصابك أيها الرائد ؟! ماذا أصابك ؟!

جذب هتافه انتباه الجميع ، فأسرعوا إليه ، واتسعت عينا خبيرة الصوتيات ، وهى تصرخ :

ـ رباه ! إنه .. إنه يتلاشى ..

كان جسد الرائد (هيثم) يتلاشى بالفعل ، بين ذراعى (أكرم) ، الذى صاح بكل عصبيته وانفعاله :

ـ افعلوا شيئًا .. أى شىء .. لاتسمحوا بحدوث هذا ..

غمغم المهيب فى مرارة :

ـ للأسف .. ليس لدينا ما يمكن فعله ..

مع آخر حروف كلماته ، اختفى جسد الرائد (هيثم) تمامًا ، فهبَّ (أكرم) فى حركة حادة ، وهتف :

ـ رباه ! لقد .. لقد اختفى ..

غمغم (نور) فى توتر :

ـ بل تلاشى يا صديقى .. اختلَّ توازنه الزمنى ، ولم يعد ينتمى إلى أى زمن كان ..

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وخبير الأشعة يقول فى انهيار :

ـ هذا ما سيحدث لنا جميعًا .. سننمحى من الوجود ..

عاد حاجبا (أكرم) ينعقدان فى شدة ، و(نور) يقول :

ـ ربما لايحدث هذا أبدًا ؛ لو نجحت فكرتى ، وتحقَّقت نظريتى ..

قال المهيب فى حزم :

ـ آلة الزمن جاهزة للانطلاق الآن .. هيا .. سيساعدك بعض علمائنا على ارتداء الزى الواقى ، ويمكنك أن تذهب ، خلال دقائق معدودة ..

هتف (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد ..

أمسك (أكرم) ذراعه بغتة ، وهو يسأله فى صرامة عجيبة :

ـ (نور) .. هل تعتقد أنه لو نجح الأمر ، وأتت رحلتك الزمنية هذه ثمارها ، لن يصيبنا كل هذا ..

أجابه (نور) ، محاولاً تهدئته :

ـ بل ولن نعلم حتى بحدوثه ..

سأله (أكرم) بصرامة أكثر :

ـ فى هذه الحالة إذن ، لن تتعرَّض (ب.ن ـ ١٠٣) للحادث ، ولن يتم نفينا إلى الفراغ الزمنى ، الذى قادنا إلى هذا الزمن ، ولن يختلَّ توازن الرائد (هيثم) الزمنى ..

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ كل الأحداث ، التى تلت وصول قراصنة الزمن إلى عصرنا ، ستصبح وكأنها لم تكن ، لأن كل شىء سيتغيَّر ، منذ تلك اللحظة ، وكل ما ترتَّب على وصولهم سينمحى ، وكأنه لم يكن أبدًا ..

سأله (أكرم) ، وقد بلغت صرامته ذروتها :

ـ وماذا عنك أنت ؟! ماذا سيصيبك فى هذه الرحلة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

ـ اللّه (سبحانه وتعالى) أعلم ..

ثم هتف به فى توتر :

ـ ماذا دهاك يا (أكرم) ؟! لماذا تتصرَّف بهذا الأسلوب ؟!

أجابه (أكرم) ، فى حزم مخيف :

ـ لأننى اتخذت قرارى ..

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، و(نور) يسأله فى حذر :

ـ أى قرار ؟!

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ سامحنى يا (نور) ..

فهم (نور) ما يعنيه هذا القول على الفور ، فجذب يده بقوة ، من أصابع (أكرم) الفولاذية ، و ...

ولكن قبضة (أكرم) تحرّكت بسرعة البرق ..

وهوت على فك (نور) كالقنبلة ..

وأمام العيون المذعورة ، سقط (نور) فاقد الوعى ، وأغلق (أكرم) عينيه فى قوة ، مكررًا :

ـ سامحنى ..

ثم التفت إلى المهيب ، مضيفًا بكل حزم الدنيا :

ـ أين من سيعاوننى ، على ارتداء الزى الواقى ؟!

وفهم الجميع ما يعنيه هذا ..

فهموه على الفور ..

وخفقت قلوبهم ..

بكل العنف ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا زعيم أشباح الزمن فى غضب ، وهو يقول :

ـ إذن فقد فعلها ذلك المقاتل ، ونسف خطتنا الرئيسية نسفًا ..

أجابه أحد رجاله فى توتر :

ـ لم يكن هذا متوقعًا أبدًا أيها الزعيم .. لقد استخدم واحدة من قنابل (بلنا) على الأرجح ، ونسف نفسه مع المبنى كله ، قبل لحظة واحدة ، من تنفيذ ما أمرت به ، ولقد سحق معه نصف رجالنا بضربة واحدة .. ولولا وجودنا هنا ، فى مبنى وزارة الدفاع ، لقضت خطته علينا جميعًا بلا هوادة ..

غمغم الزعيم ، فى غضب وحشى :

ـ حتى فى هذه المرة ، كانت هناك أخطاء ..

أجابه رجل آخر :

ـ كان من الخطأ ألا نقتله على الفور ..

رفع الزعيم عينيه إليه فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ بل كان من الخطأ ألا نقتلها هى ، فور وصولنا إلى هنا ..

سأله ثالث فى حيرة :

ـ ولماذا هى ؟!

أجابه فى صرامة غاضبة :

ـ لأن هذا كان كفيلاً بمحوه تمامًا من الوجود ..

ثم تألقت عيناه على نحو رهيب ، وهو يضيف :

ـ ولكن كل شىء يمكن إصلاحه ..

تساءل أحد الرجال :

ـ وكيف ؟!

أجابه الزعيم فى حدة :

ـ بالأسلوب نفسه يا رجل ..

وأشار بيده إلى الكل ، قائلاً :

ـ هيا .. استعدوا ..

سأله رجل ضخم منهم :

ـ نستعد لماذا ؟!

أجابه فى صرامة مخيفة :

ـ لإصلاح ما حدث ..

وضاقت عيناه ، حتى بدا أشبه بثعبان أرقط ، وهو يضيف :

- وللقيام بالمحاولة الرابعة ، التى نتحاشى خلالها كل الأخطاء السابقة ..

وبدا صوته أشبه بالفحيح ، مع استطرادته :

- المحاولة الأخيرة ..

وكان هذا يعنى أن الخطر سيتواصل ..

عبر الزمن ..

* * *

« لماذا فعلت هذا ؟! » ..

ألقى المهيب السؤال ، فى اهتمام بالغ ، على (أكرم) ، الذى استعدّ للقيام برحلته الزمنية ، فالتقى حاجبا هذا الأخير ، وهو يجيب فى صرامة :

- (نور) أكثر أهمية منى ..

سأله المهيب ، فى اهتمام أكثر :

- لماذا ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم ، وهو يعدّ الأجهزة للانطلاق ، كما علّمه فريق من علماء ذلك الزمن :

- (نور) هو القائد ، والأكثر ذكاءً وشجاعة ، والكل يحتاج إليه أكثر منى ، ولا يحق له أن يخاطر بوجوده كله ..

ابتسم المهيب ، وهو يقول :

- ألهذا قرّرت أن تحلّ محله ، فى هذه الرحلة ؟!

سعل (أكرم) بافتعال ، وأشاح بوجهه ، قائلاً فى عصبية :

- هل يكفى الوقت ، للحديث عن كل هذا ؟!

اتسعت ابتسامة المهيب ، وهو يقول :

- بعد دقيقة واحدة ، سيصبح الوقت كله ملكًا لك ..

قالها ، وتراجع ، مستطردًا فى هدوء :

- إنه لمن دواعى سرورى أن أعرفك ، حتى ولو انتمى كل منا إلى زمن آخر ..

كتم (أكرم) انفعاله، ولم ينبس ببنت شفة، والكرة تغلق عليه، ثم تبدأ عدها التنازلى، برموز لم يفهمها قط ..

وعندما ظهر ذلك الرمز، الذى جعلوه يحفظه عن ظهر قلب، ضغط الزر الكبير، المحاط بحلقة زجاجية ..

وتألَّق المكان كله بضوء أبيض ..

ثم انطلقت آلة الزمن ..

وخفق قلب (أكرم) فى عنف ..

كانت الشاشة الكروية أمامه، ترسم عشرات الألوان، التى تمتزج ببعضها، على نحو كاد يدير رأسه، فأغلق عينيه، واسترخى فى مقعده، أو أنه قد حاول هذا على الأقل، وعقله ينطلق على نحو مرهق ..

تُرى هل ستنجح تلك الرحلة ؟!

هل سيتمكَّن حقًا من سحق أولئك القراصنة الزمنيين، فى نفس لحظة وصولهم إلى زمنه ؟!

هل ؟!

انطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة، وهو يطرح على عقله المجهد سؤالاً ثانيًا .. ماذا سيكون مصيره، عندما تصل به الآلة إلى زمن، تواجد فيه بالفعل ؟!

علماء ذلك الزمن الآخر يؤكدون، أن جزءًا من الثانية يكفى، لتدمير كيانه كله عبر الزمن ..

وربما كانوا على حق ..

ربما ..

ولو أنهم كذلك، فسينمحى كيانه، فور تجسُّد الآلة، فى لحظة وصول أولئك القراصنة إلى زمنه ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج، وهو يعيد التفكير فى هذا الاحتمال المخيف ..

ترى كيف سيشعر، عندما ينمحى كيانه ؟!

هل سيمضى الأمر دون أن يتألَّم ؟!

أم أن الألم سيكون رهيبًا ؟!

أهو شىء أشبه بالموت ؟!

أم بالفناء ؟!

مرة أخرى ، انطلقت من أعماقه زفرة ملتهبة ، وهو يغمغم :

- لقد فعلتها من أجلكم جميعًا يا (نور) ..

وعاد يغلق عينيه ، مستطردًا :

- من أجلكم ..

لم يكن يدرى كم ستستغرق آلة الزمن الكروية هذه فى رحلتها ..

ولا متى يصل إلى زمنه ..

ولكنه لم ينجح فى الاسترخاء أبدًا ..

وفتح (أكرم) عينيه ، وتطلّع إلى تلك الكرة أمامه ، والتى واصلت الألوان الزاهية امتزاجها على سطحها ، وهو يتمتم :

- ترى كم تبقى أمامنا ..

لم يكد ينطقها ، حتى تألّقت الكرة بغتة ، ثم خبت كل الألوان عليها ، وراحت تشعّ بضوء أبيض هادئ ، فاعتدل فى مقعده ، هاتفًا :

- رباه ! إنها سريعة للغاية !! لقد التقطت البث الإذاعى الأوّل ..

استعاد عقله ما علموه إياه ، وأسرع يجذب ذراعًا شفافة ، ثم يضغط زرًا أزرق صغيرًا ..

وانخفضت سرعة آلة الزمن نسبيًا ..

وراحت تنطلق ، عبر الزمن ، فى أعماق القرن العشرين ..

ثم وثبت إلى القرن الحادى والعشرين ..

وعلى الشاشة ، راح اللونان ، الأبيض والأحمر يمتزجان ، على نحو بدا عشوائيًا فى البداية ، ثم لم يلبث أن تحوّل إلى إيقاع منتظم هادئ ، جعله يغمغم ، بكل توتر الدنيا :

- لقد اقتربنا ..

كانت الآلة تشق طريقها بالفعل ، عبر نهر الزمن ، وعبر المكان أيضًا ، لتبلغ الإحداثيات التى غذاها بها (نور) ..

وفى التوقيت المناسب بالضبط ..

وهناك ، فى أعماق البحر الأبيض المتوسّط ، كانت هناك بقعة ضوء تتكوّن ..

وتتكوّن ..

وتتكوّن ..

وداخل آلة الزمن ، بدأ اللون الأحمر يهيمن على تلك الكرة تمامًا ، فجَفّ حلق (أكرم) ، وكل التساؤلات تطرح نفسها عليه ثانية ..

ورصدت الآلة ما يحدث ، فى قاع البحر الأبيض المتوسّط ..

وحدّدت هدفها بدقة مدهشة ، عبر الزمان والمكان ..

وفى الأعماق ، تحوّلت بقعة الضوء إلى فجوة عجيبة ، عبرتها مركبة ضخمة ، تحمل قراصنة الزمن ، و ...

والتقت المركبة المستقبلية بآلة الزمن ، القادمة من الماضى السحيق ..

وتحوّلت الكرة ، داخل آلة الزمن ، إلى اللون الأحمر الصرف ..

وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه ..

ودوى الانفجار ..

بكل عنف الدنيا ..

والزمن ..

* * *

ارتسمت ابتسامة كبيرة ، على شفتى (نور) ، وهو يستقبل السيّد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، فى منزله ، قائلاً :

- جميل منك أن وافقت على حضور حفل عيد ميلاد ابنى (طارق) يا سيّد (أمجد) ..

ابتسم السيّد (أمجد) ، وهو يقدّم إليه هدية الصغير ، قائلاً :

- وكيف يمكن أن يفوتنى هذا ؟!

صافحته (سلوى) بدورها ، وهى تقول مبتسمة :

- لم نكن لنبدأ أبدًا بدونك يا سيّد (أمجد) ..

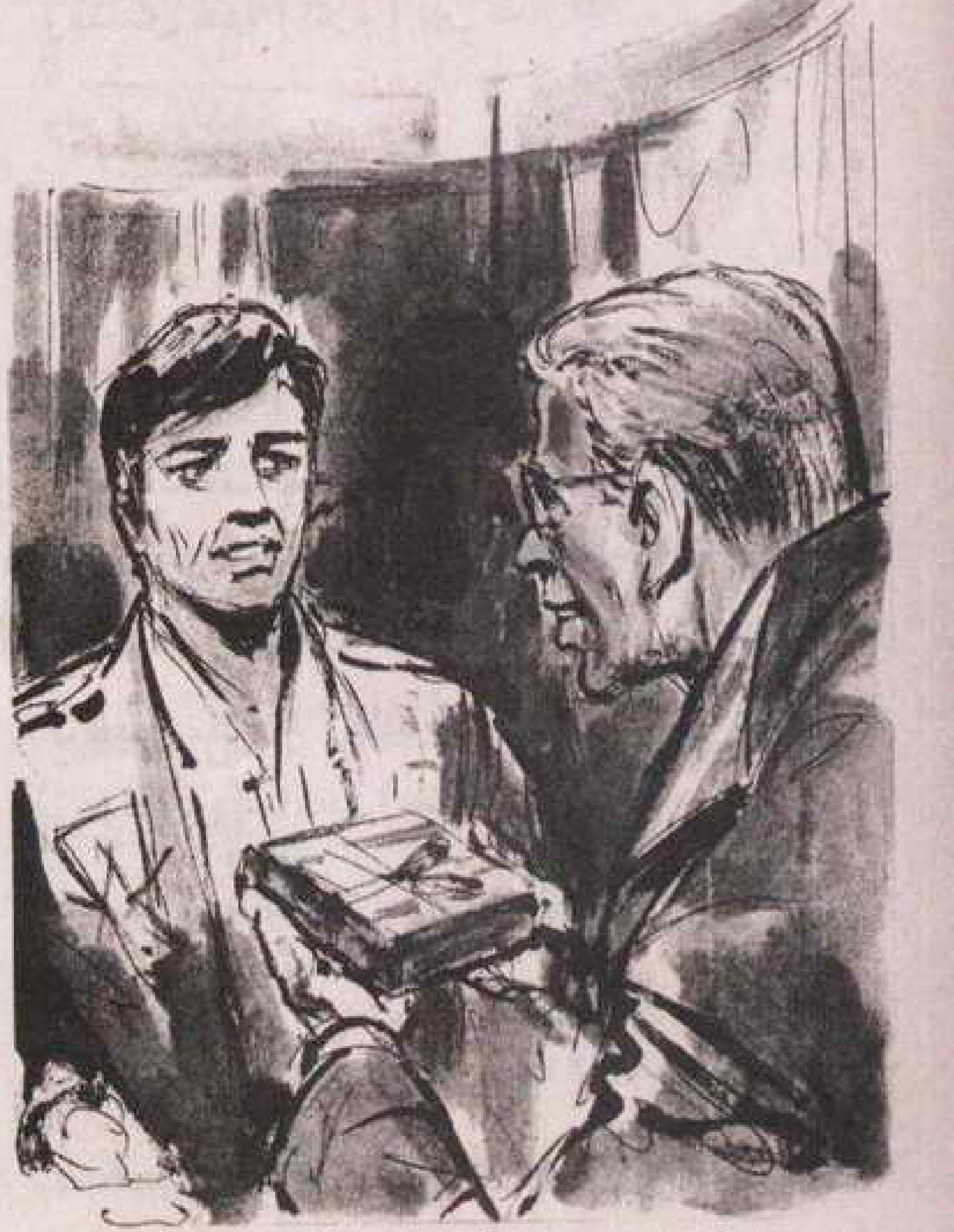

ابتسم السيِّد (أمجد) ، وهو يقدِّم إليه هدية الصغير ، قائلاً :
ـ وكيف يمكن أن يفوتنى هذا ؟!..

ضحك (أمجد) ، قائلاً :

ـ مجاملة ورقيقة أنت دائمًا يا (سلوى) ..

هتفت (نشوى) فى مرح :

ـ أمى وحدها ؟!

هزَّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

ـ كلاً بالطبع .. من يمكنه أن ينسى خبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى المخابرات العلمية كلها ؟!

ابتسم (رمزى) ، وهو يضمّ زوجته إليه ، ويقول بهدوئه ورصانته المعهودين :

ـ لاتبالغ يا سيِّد (أمجد) ، وإلا أصبتها بالغرور ..

هتفت (نشوى) فى مرح :

ـ الغرور ؟! يبدو أنك لا تقرأ تقارير إدارة الأبحاث العلمية يا زوجى العزيز .. إنهم يقولون : إننى عبقرية ..

مال يطبع قبلة على وجنتها ، قائلاً :

ـ وهل أنكرت هذا أبدًا يا أميرتى ؟!

برزت (مشيرة) من الحجرة المجاورة ، وهى تقول :

ـ يبدو أن عدوى الكلمات المنمّقة قد أصـابتك من زوجى (أكرم) ..

صافحها (أمجد) ، قائلاً :

ـ سيّدة (مشيرة) ؟! كيف لم ألمحك فور دخولى ؟!

أجابته مبتسمة :

ـ أنا أوّل من وصل ، ولكننى كنت أتحدّث هاتفيًا مع (ياسر) ، مصوّر برنامجى الجديد ..

ضحك (أمجد) ، قائلاً :

ـ آه .. العمل يطاردنا دائمًا ..

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ بمناسبة العمل ، هل علمت بأمر ذلك الانفجار ، الذى تم رصده ، فى البحر الأبيض ، منذ قليل ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ لا أحد يدرى سببه حتى الآن .. الأقمار الصناعية الجيولوجية رصدته ، فى قاع البحر ، وكذلك سجلته إحدى غوّاصاتنا النووية الجديدة ، وهى (ب.ن ـ ١٠٣) ، ولكنها اتجهت إلى موقعه مباشرة ، ولم تجد شيئًا هناك ..

سألته (نشوى) فى اهتمام :

ـ هل يمكن أن تكون ظاهرة طبيعية ؟!

هزّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!

هتفت (مشيرة) فى حماسة :

ـ أراهن أنكم تخفون شيئًا كالمعتاد ..

ابتسم السيّد (أمجد) ، والتفت إلى (نور) ، قائلاً :

ـ هل تعتقد أنت أيضًا هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى هدوء واثق :

ـ مطلقًا ..

ثم التفت إلى (مشيرة)، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

- لو أنه هناك أى غموض ، أو أى شىء يستحق الإخفاء ، لما كنا هنا ، نحتفل بعيد ميلاد (محمود) الصغير .. أليس كذلك ؟!

هتفت :

- هذا صحيح ..

سألها (أمجد) فى اهتمام :

- بالمناسبة .. أين زوجك ؟! إننى أتوق كثيرًا لرؤيته ..

أجابته (مشيرة) بابتسامة كبيرة :

- إنه الوحيد الذى لم يصل بعد ، ولكنه لن يتخلَّف حتمًا عن الحضور ، فهو يقتنص أية فرصة سانحة للقائك ..

ثم مالت نحوه ، مضيفة :

- فأنت مثله الأعلى ..

ابتسم (أمجد) ، وهو يقول :

- أتعشَّم أن يأتى ..

نعم يا سيِّد (أمجد) .. أنت والجميع تتمنون أن يأتى (أكرم) ..

هذا لأن مغامرته الباسلة قد أعادت الأمور لنصابها ..

مغامرته التى لن يعلم أحد بها قط ، فى هذا الزمن ..

ولكن السؤال سيظلّ مطروحًا ..

تُرى هل سيأتى (أكرم) إلى الحفل ؛ لينضمّ إلى رفاقه ، فى هذا الزمن الجديد ؟!

هل ؟!

من يدرى ؟!

* * *

[تمت بحمد الله]

قراصنة الزمن

- ما الذى يمكن أن يحدث ، عندما ينقل قراصنة الزمن حربهم ، من البحر إلى البر ؟!
- ما سر ذلك الشبح ، الذى يقود القراصنة ؟ وما هدفه الفعلى من كل هذا ؟!
- ترى هل ينتهى الأمر بانتصار (نور) ورفاقه ، أم تنحسم المعركة لصالح (قراصنة الزمن) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل ..

العدد القادم : الثعابين

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

140

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع سلاح التلميذ